القسم الثاني
خطاب الصورة وأثره في تشكيل سلوك الأفراد واتجاهاتهم

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصـــل الثالث

تشكيل الأنماط السلوكية للصغار

الأسس النفسية التي تستند إليها الصورة في مخاطبة الأطفال.
الصورة وأثرها في تشكيل الأنماط السلوكية لدى الأطفال.

أولًا: الأنماط السلوكية المقبولة

١- الأدوار الجنسية.
٢- الأدوار المهنية.
٣- السلوك الإيثاري.
٤- اكتساب معلومات تتصل بالبيئة الطبيعية.
٥- اكتساب معلومات تتصل بالبيئة الاجتماعية.
٦- اكتساب مفاهيم صحية.
٧- تحسين مستوى لغة الطفل.
٨- تعزيز المعتقدات الدينية.
٩- اكتساب المعلومات السياسية.
١٠-اكتساب معلومات علمية.
١١-استثارة الخيال العلمي.

ثانيًا: الأنماط السلوكية غير المقبولة

١- اكتساب نمط سلوكي يتسم بالحيلة والخديعة والتضليل.
٢- اكتساب التعصب.
٣- اكتساب السلوك العدواني.

المتغيرات الوسطية التي تتخلل العلاقة بين مشاهدة الصورة ونوعية الأنماط السلوكية.

obeikandl.com

obeikandl.com

الأسس النفسية التي تستند إليها الصورة في مخاطبة الأطفال

يُعد الأطفال من أكثر الفئات العمرية إعجابًا بالصورة التي يشاهدونها عبر التلفزيون؛ ولعل هذا الإعجاب يرجع بطبيعة الحال إلى الخصائص التي يتمتع بها هذا الجهاز من صوت وصورة وحركة وألوان، تلك الخصائص التي تجعل التلفزيون وسيلة جذابة، وباعثة على الانبهار بالنسبة لهم، ولأنه كذلك فقد نال التلفزيون ثقة الأطفال، وحظي بمصداقية لم تحظ بها قنوات الاتصال الجمعية الأخرى، وفي هذا الصدد نشير إلى الدراسة التي أجراها هالوران الباحث في ميدان الاتصال إذ توصل من خلالها أن (٩٧٪) من الأطفال الذين هم بعمر (١١) سنة، أشاروا إلى أنهم يثقون بالتلفزيون أكثر من القنوات الاتصالية الأخرى، وفي السياق نفسه طُرح سؤال آخر على هؤلاء الأطفال، مفاده أنه في حال سماعكم قصة ما من المصادر الآتية: الأبوين، المدرس، الإذاعة، التلفزيون، فأي مصدر تصدقونه؟

تشير نتائج الدراسة إلى أن (٥٤٪) من الأطفال أجابوا إنهم يصدقون الرواية الصادرة من التلفزيون[١]، ولقد أسندت هذه النتيجة بعدد من الدراسات الميدانية، نذكر منها الدراسة التي أجريت على الأطفال في مصر، إذ سحبت عينة من الأطفال تتراوح أعمارهم بين (١١-١٢) سنة وطلب منهم الإجابة عن سؤال هل معيشة الفلاح المصري التي يعرضها التلفزيون مطابقة لمعيشته الحقيقية؟

تشير النتائج كما وردت على لسان عرابي (٢٠٠٢):إلى أن (٦١٪) من عينة الأطفال أشارت إلى ما يشاهدونه عن معيشة الفلاح المصري مطابقة لمعيشته الحقيقية[٢]. وهنا نصل إلى مسألة لا بد من الإشارة إليها، وهي أن الأطفال يفضلون متابعة الوقائع أو الأحداث عبر شاشة التلفزيون على نحو يفوق

متابعتهم لها عبر قنوات الاتصال الجمعية الأخرى، وهذا يعود إلى أسباب عديدة نذكر منها:-

١- أن الصورة تعمد إلى تحويل الوقائع أو الأحداث إلى حركة مصحوبة بصوت، وهذا يفضي بطبيعة الحال إلى إضفاء نوع من التسلية والمتعة على الصورة.

٢- أن ظهور شخصيات بشرية عبر شاشة التلفزيون ومن فئات عمرية مختلفة قد ولد حالة من الألفة بين هذه الشخصيات وجمهور الأطفال، ومما زاد من ألفة الأطفال لهذه الشخصيات هو تقاربها في كثير من خصائص الشخصية، ولعل ذلك يُعد أحد أسباب تأثر الأطفال بالصورة.

٣- ومن الأسباب التي تشير إلى تأثر الأطفال بالصورة أكثر من تأثرهم بقنوات الاتصال الأخرى هو أن متابعة الأحداث أو الوقائع عبر الصورة يقتضي منهم بذل جهد أقل مقارنة بالجهد المبذول عند متابعة مثل هذه الأحداث أو الوقائع عبر قنوات الاتصال الأخرى، وبذلك فإن متابعة هذه الأحداث تقتضي من الطفل أن يجلس قريبًا من الشاشة، ثم متابعة الصورة المتدفقة حولها في حين تقتضي متابعة هذه الأحداث في قنوات الاتصال الأخرى القراءة كما هو حادث في الكتاب، أو المجلة، أو الإنصات كما هو الحال في الإذاعة، أو قطع مسافة ما، كما هو حادث في المسرح.

ومما له دلالة في هذا الصدد أن الصورة لا تجذب انتباه الأطفال على الدوام، وذلك يتعلق بعدم مراعاة الأسس النفسية عند مخاطبتهم، ولكي تتمكن الصورة من جذب انتباههم ينبغي مراعاة أسس المخاطبة، وهنا نشير إلى أهمها:

أولًا: تحديد الخصائص المتعلقة بالمرسل.

ثانيًا: تحديد الخصائص المتعلقة بالرسالة والاتصالية.
ثالثًا: تحديد خصائص المستقبل (الأطفال).

أولًا: تحديد الخصائص المتعلقة بالمرسل

من المفيد الإشارة هنا إلى أن مرسل الرسالة إلى جمهور الأطفال يختلف تمامًا عن مرسل الرسالة إلى جمهور من الراشدين، وذلك لأن الأطفال لا تهمهم مصداقية الرسائل التي يرسلها إليهم ولا تهمهم كذلك ثقتهم به، وإنما الذي يهمهم منه أن يكون جذابًا أو أن تكون رسائله على قدر من الجاذبية، وعندما يفتقر إلى الجاذبية أو تفتقر رسائله إلى هذه الجاذبية، فإنهم سيصرفون انتباههم عنه، إذ يبحثون عن مرسل آخر يتمتع بقدر من الجاذبية، والجاذبية التي ينبغي أن يتمتع بها المرسل هو أن يكون وجهًا مألوفًا للأطفال، ونقصد بالألفة هنا هو تمتع المرسل بخصائص شخصية من قبيل الانبساط أو ما يعبر عنه بقدرته على إدخال البهجة والسرور إليهم، فضلًا عن قدرته على مخاطبتهم باللغة التي يفهمونها.

وكل ذلك يجعله وجهًا مألوفًا لديهم، وحتى على مستوى البرامج الأجنبية يفضل أن تكون (الدبلجة) بأصوات الأطفال، وذلك لحثهم على متابعة البرنامج في المرات اللاحقة وتوطيد العلاقة معهم في الوقت نفسه.

ومن الخصائص النفسية التي ينبغي أن يتمتع بها المرسل قدرته على إشباع الحاجات النفسية لجمهور الأطفال تلك الحاجات المتمثلة في: التسلية، والترفيه، والمعرفة، واستكشاف البيئة، إلى جانب تعلم الجديد من المعرفة التي لم يسبق للأطفال تعلمها في المدرسة.

والحقيقة إن إشباع هذه الحاجات، سيجعل الأطفال يتابعون باستمرار البرامج المعدة لهم وبخلاف هذه الخصائص، سيجعل الأطفال يعزفون عن

متابعة هذه البرامج، وهو الأمر الذي يفضي بهم إلى البحث عن برامج أخرى أكثر جاذبية.

ثانيًا: تحديد الخصائص المرتبطة بالرسالة الاتصالية

تُعد الرسالة الاتصالية الأداة التي يتم من خلالها مخاطبة الأطفال على أن هناك جملة من الخصائص التي ينبغي توفرها في هذه الأداة ولعل من أهمها:

١- أن تشتمل الرسالة المرسلة عبر الصورة على مفردات لغوية بسيطة ومألوفة، لكي يتمكن الأطفال من فهمها واستيعابها؛ ليتسنى لهم متابعتها بعد ذلك.

٢- كذلك يفضل أن تكون الجملة في هذه الرسالة قصيرة وليست طويلة، ولعل السبب يعود إلى الصعوبة التي يواجهها الأطفال في هذه المرحلة على خزن جمل طويلة فضلًا عن صعوبة فهمها.وعلى ذلك، يفضل في الرسالة الاتصالية المرسلة عبر الصورة أن تشتمل على جمل قصيرة مؤلفة من مفردات بسيطة ومألوفة.

٣- ينبغي مراعاة طريقة تناول المعلومات في الرسالة الموجهة إلى الأطفال بمعنى أن تطرح المعلومات بطريقة مبسطة، تخلو من التعقيد بحيث تفضي في النهاية إلى تعريفهم بأشياء محددة.

٤- وحتى تكون المسألة مؤثرة في جمهور الأطفال، ينبغي مراعاة كمية المعلومات المرسلة عبر الصورة.

وهنا نشير إلى وجود علاقة عكسية بين كمية المعلومات والعمر، إذ تزداد المعلومات عند التقدم بالعمر، وتقل في الأعمار الصغيرة، وهذا يعني: أن المعلومات المرسلة إلى الأطفال في مدة معينة ينبغي أن تكون قليلة ومحدودة،

ولعل ذلك يرجع إلى الصعوبات التي يواجهها الأطفال في الاحتفاظ بالمعلومات كما أشرنا، إذ كلما كانت المعلومات قليلة غدت سهلة الاحتفاظ، وعلى النقيض من ذلك يواجه الأطفال صعوبات في الاحتفاظ بها، إذا اشتملت الرسالة على كمٍّ كبير منها.

إن مما يجب الإشارة إليه في هذا الصدد، أن عدم مراعاة هذه الخصائص، سيفقد الرسالة الاتصالية فعاليتها، وهذا سيجعلها غير جاذبة للانتباه.

ثالثًا: تحديد الخصائص المرتبطة بالمُسْتَقْبِل (الأطفال)

إن الأطفال هم الطرف المستهدف في العملية الاتصالية، إذ يستهدف المرسل من إرسال الرسائل تشكيل اتجاهاتهم نحو العالم الذي يعيشون فيه بطريقة تنسجم مع أيديولوجيته أولًا، ومع الأعراف الاجتماعية السائدة ثانيًا.

وهنا لا بد من الإشارة إلى أنه لا يمكننا بأي حال الجزم بشكل قاطع ونهائي، أن تَعَرُّض الأطفال إلى الرسالة الاتصالية سيفضي إلى نمذجة اتجاهاتهم وأنماطهم السلوكية على غرار ما ورد في محتوى هذه الرسالة على أن عملية التأثر بالإشارات الواردة في الرسالة الاتصالية تعتمد بالدرجة الأساس على جمهور الأطفال المستقبل لهذه الرسالة، ولكي نضمن تأثر جمهور الأطفال بوقائع الرسالة الاتصالية، لا بد من توفر عدد من الخصائص التي يتصف بها هذا الجمهور، تلك الخصائص التي تجعلهم أميل إلى التأثر بما يشاهدونه.

١- أن تتاح للأطفال فرصة المشاهدة للبرامج المعدة لهم على أن مشاهدة هذه البرامج، ينبغي أن تكون منتظمة وغير متقطعة؛ وذلك لضمان إحداث التأثير المطلوب في اتجاهاتهم وفي أنماطهم السلوكية.

٢- ولكي تكون الرسالة الاتصالية مؤثرة في الأطفال، لا بد من تزويدهم بالمهارات الاتصالية، تلك المهارات التي تشتمل على الإنصات

والانتباه التي تساعدهم على فهم المحتويات الواردة في الرسالة.

٣- يقتضي فهم الرسالة وتفسيرها لدى عموم الأطفال مستوى عقلي متوسط، أما انخفاض المستوى العقلي عن المتوسط، فهذا يعني أن الأطفال المستهدفين بالرسالة سيواجهون صعوبة في عملية تفسيرها وتحليلها.

الصورة وأثرها في تشكيل الأنماط السلوكية لدى الأطفال

من الملاحظ أن الصورة التلفزيونية التي يتعرض لها الأطفال، تعمد إلى تشكيل نوعين من الأنماط السلوكية، فأما النوع الأول: فيسمى بالأنماط السلوكية المقبولة، وأما النوع الثاني: فيسمى بالأنماط السلوكية غير المقبولة، وسنتحدث بشيء من التفصيل عن هذين النوعين كلًا على حدة.

أولًا: الأنماط السلوكية المقبولة

ونعني بها: تلك الأنماط من السلوك التي تحظى بالقبول الاجتماعي، وهنا سنركز على أهم الأنماط السلوكية المقبولة التي يتم تشكيلها بفعل الصورة:

١- الأدوار الجنسية.
٢- الأدوار المهنية.
٣- السلوك الإيثاري.
٤- اكتساب معلومات تتصل بالبيئة الطبيعية.
٥- اكتساب معلومات تتصل بالبيئة الاجتماعية.
٦- اكتساب مفاهيم صحية.
٧- تحسن مستوى لغة الطفل.
٨- تعزيز المعتقدات الدينية.
٩- اكتساب المعلومات السياسية.
١٠- اكتساب معلومات علمية.

١١ - استثارة الخيال العلمي.

١ - الأدوار الجنسية

تشير الأدبيات النفسية إلى أن الطفل يتسم بالحياد الجنسي منذ لحظة ولادته، بالرغم من انتمائه البايولوجي إلى جنس معين[٣]. وإذا نحن أمعنا النظر في هذه العبارة نجد أن الخصائص النفسية المرتبطة بجنس الطفل، لا تظهر في سلوكه لحظة ولادته، وإنما تظهر بعد فترة زمنية يكون فيها الطفل قد تمكن من إتقان عمليات التعلم الاجتماعي، تلك العمليات التي تعمد إلى تقنين سلوكه فيما يتصل بالجنس الذي ينتمي إليه. وكذلك إتقان اللغة التي تساعده هي الأخرى في التعبير عن مشاعره الجنسية، وعلى ذلك، فإن عمليات التعلم الاجتماعي الحادثة في بيئة الطفل هي التي تبصره باهتمامات جنسه وتفضيلاته، وهي التي تقرر له كذلك معايير السلوك المحددة للجنس الذي ينتمي إليه.

وهنا يبرز دور التلفزيون في الإسهام مع قنوات التنشئة الاجتماعية الأخرى في جعل الطفل يكتسب دوره الجنسي، وهناك أساليب عديدة يسهم فيها التلفزيون في هذا الصدد، ولعل من أبرزها:

أ- عرض صور تتناول الملابس المحددة لكل جنس مع التركيز على التباين في الملبس من حيث: التصميم، وشكل الملبس، وطريقة الارتداء، ونوع الأقمشة المرتبطة بالجنس.

ب- عرض صور تتناول شعر الرأس في محاولة لجذب الانتباه إلى الفروق الجنسية، فالشعر لدى الذكر عادة ما يكون قصيرًا، يمكن تسريحه بمشط من نوع معين في حين يكون شعر الأنثى طويلًا، ينسدل على الأكتاف ومن الممكن أن يجمع في ضفائر أو أن يجمع في كومة واحدة بواسطة ماسكة أُعدت لهذا الغرض.

والحقيقة أن هذه إشارة يراد منها، التنبيه إلى الفروق الحاصلة بين الجنسين بهدف إيصال كل منهما إلى رأي مفاده أن هذه مقتنيات ذكرية، وتلك مقتنيات أنثوية.

ج- عرض صور تتناول الفروق البايولوجية الحادثة بين الجنسين، وذلك من تركيزها على الخصائص البارزة التي يتمتع بها كل جنس بقصد تعريف الأفراد بالاختلافات الجنسية البارزة، وعلى ذلك فإن الصورة ستركز هنا على الحمل والثدي بوصفها خصائص بارزة للأنثى، إذ يمكن تصويرها ومن ثم إرسالها إلى كلا الطرفين لمعرفة حقيقة الفروق، وكذا الحال مع الذكر، فإن الصورة ستركز على خصائصه البايولوجية البارزة، تلك الخصائص المتمثلة بقوته الجسدية، وبذلك فإن الاختلافات البايولوجية التي تنقل عبر الصورة، ستعمد إلى إشعار الجنسين بأدوارهما المرتقبة في الحياة الاجتماعية.

د- ولعل من الفروق التي تركز عليها الصورة أدوات التجميل وطريقة التزيين المتصلة بالجنس، فالصورة تُظهر طريقة التجميل لدى الأنثى من خلال استعمالها مساحيق التجميل التي تدهن بها الوجه أو تضعها على الشفاه والعيون والحواجب في حين تظهر الصورة طريقة الزينة المتبعة لدى الذكر، ومن خلال التركيز على حلق الذقن وتصفيف الشعر القصير في محاولة لتثبيت الدور الجنسي المتوقع لكل منهما عند الانخراط في عمليات التفاعل الاجتماعي.

هـ-كذلك تركز الصورة على معدات اللعب المرتبطة بالجنس، فالذكر يلعب في العادة بألعاب من قبيل: المسدس، والكرة، والدراجة الهوائية، والسيارة، والقطار، والأنثى تعلب بلعبة العروس ومنزل العرائس المؤلف من مقتنيات أنثوية.

و- وتركز الصورة أيضًا على ضرورة عقد الصداقات مع أقران من الجنس نفسه، ولا يجوز عقد مثل هذه الصداقات مع آخرين مخالفين في الجنس.

ز- كما تركز الصورة على التسمية لكل من الجنسين، وذلك باستعمال الطريقة الاشتراطية تلك الطريقة التي تعتمد حصرًا، على ربط صورة الذكر بأسماء معينة، وكذلك ربط صورة الأنثى بأسماء معينة أيضًا، وكأن الصورة هنا أريد منها إيصال رسالة مفادها أن اتخاذ التسمية الدالة على الجنس الذي ينتمي إليه الفرد تجعله يحظى بالقبول الاجتماعي إلى جانب تجنب الحرج عند اتخاذه التسمية المخالفة لجنسه.

ط- وبهدف الامتثال للدور الجنسي المحدد للأفراد، يعمد المرسل إلى إشاعة صورٍ نمطية عن كل جنس عبر الشاشة، تلك الصور التي تعزز المعتقدات الشائعة بين الثقافة عن الجنسين فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ هناك نعوت معينة تنعت بها الثقافة السائدة الذكر ولعل من أبرزها: القوي، والشجاع، والجريء، ولا يخشى الموت، والمقاتل، والشديد، والتسلطي، وهو القادر وحده على ضبط الأبناء، والذكي، وهو الذي يتزوج من امرأة لتنجب له الأطفال، ومقابل النعوت الذكرية، هناك نعوت تنعت بها الأنثى، وهي من قبيل: كائن ضعيف، ومتحفظة، وغير جريئة، وخجولة، ورقيقة، ووديعة، ومسالمة، ومتسامحة، وعطوفة، وترعى الأطفال، وتؤدي الأعمال المنزلية، وتتزوج رجلًا تنجب منه عددًا من الأطفال.

إن من البيِّن الواضح، أن إشاعة الصور النمطية بين الأفراد على شاشة التلفزيون، إنما يراد به إشراط الأفراد من كلا الجنسين على الامتثال للأدوار الجنسية المحددة ثقافيًّا.

٢- الأدوار المهنية

من الملاحظ، أن مرسل الصورة لا تقتصر مهمته على تعريف الطفل بدوره الجنسي المتوقع له، فحسب وإنما يحاول أن يعرفه بالدور المهني المرتقب له، بعد أن يبلغ سن الرشد، وأن ثمة عددًا من الطرق التي يتبعها المرسل في تعريف الطفل بدوره المهني، ومن بينها:

أ- عرض صور تتناول الأزياء الدالة على المهن، بقصد تعريف الطفل بطريقة مبسطة على المهن الشائعة، فعلى سبيل المثال لا الحصر، يعرف الطفل بمهنة الطب من خلال عرض الصور التي يظهر فيها أشخاص يرتدون الصدرية البيضاء، أو يعرف بمهنة التدريس من خلال عرض الصور التي يظهر فيها أشخاص يرتدون بدلاتهم، إذ يقفون أمام تلاميذهم في الصف، أو يعرف بمهنة الميكانيكي وذلك بالإشارة إلى البدلة التي يرتديها أثناء تصليح الماكنة، وكثير من هذا القبيل.

والحقيقة، أن الأزياء غير كافية بتعريف الطفل بالمهن، وإنما يقتضي الحال الإشارة إلى الأدوات المستعملة، لإنجاز مهمات المهنة وهنا تعرض الصورة هذه الأدوات فالطبيب على سبيل المثال لكي ينجز مهماته المهنية، لا بد من عرض المعدات الطبية، ابتداءً من جهاز قياس الضغط، مرورًا بالمحرار الطبي، وانتهاء بمعدات الأشعة والمختبر. والحقيقة، أن هذه الصورة تجعل الطفل يلم بمقتضيات المهنة، وتلك الخطوة الأولى، باتجاه تعريف الطفل بمهنة المستقبل.

ب- وبعد تعريف الطفل بالمهن تبدأ الخطوة الثانية، إذ تنطوي على توجيه رسالة تتضمن تعريف الطفل بالطريقة التي تمكنه من احتراف مهنة معينة.

وهنا تركز الصورة على مخاطبة الطفل بطريقة مبسطة، إذ تحثه على الجد والاجتهاد، من أجل إكمال الدراسة، ليتسنى له الالتحاق بكليات الطب أو

الهندسة أو القانون، أو التربية، ليصبح طبيبًا أو مهندسًا أو محاميًا أو مدرسًا.

كذلك هناك صورة تخاطب الطفل، فإن مهنًا من قبيل: تصليح السيارات، والنجارة، والحدادة، والبقالة، والخياطة لا تستدعي شيئًا من الدراسة، وإنما تستدعي شيئًا من التدريب لكي يتمكن الفرد من إتقانها ومن ثَم ممارستها.

ج- والخطوة الثالثة في تعريف الطفل للمهن عرض صور تتناول ميدان كل مهنة، فالطب على سبيل المثال، ميدانه في المستشفى، ومهنة التدريس ميدانها في المدرسة أو الجامعة، ومهنة الحدادة ميدانها في الورشة، ومهنة المحاماة ميدانها المحكمة ولا يقتصر الأمر على ذكر ميدان المهنة فحسب وإنما تشير الصورة أيضًا إلى الأدوار المرتبطة بالمهنة الواحدة فالطبيب يشرف على العلاج الطبي والممرضة تؤدي وظيفة التداوي وزرق الإبر، والشعاعي يؤدي تصوير بعض أجزاء الجسد التي تعرضت إلى الأذى والمحلل المختبري يجري التحليلات المرضية وهكذا دواليك للمهن الأخرى.

د- والخطوة الرابعة والأخيرة، عرض صور تتناول الخدمات الاجتماعية لكل مهنة، وعلى سبيل المثال، من الخدمات الاجتماعية التي يؤديها الطب، علاج الناس من الأمراض، وتؤدي مهنة التدريس خدمة اجتماعية تتمثل بإشاعة المعرفة بين أفراد المجتمع والحدادة تؤدي بدورها خدمة اجتماعية تتمثل بتوفير مستلزمات المنازل من الأبواب والنوافذ ومواد أخرى، وهكذا فإن كل مهنة تقدم خدمات اجتماعية تفضي إلى تحقيق الرفاهة في المجتمع.

واضح أن التعرض إلى الصور التي تتناول أنواعًا معينة من المهن، ستفضي إلى تعريف الطفل بالمهن الشائعة أولًا ومساعدته ثانيًا على تكوين فكرة واضحة عن المهن التي سيحترفها في المستقبل.

٣- السلوك الإيثاري

قبل الخوض في تفاصيل السلوك الإيثاري altruism behavior وأثر الصورة في بروزه لدى الأطفال، نقول: إن الصورة لكي تُظهر هذا النمط من السلوك بشكل جلي تقتضي الضرورة أن يحدد بشكل واضح ليسهل بعد ذلك على المرسل تحويله إلى مجموعة من الصور، وفي هذا الصدد تفيد الدراسات أن السلوك الإيثاري يتحدد بكل من المشاركة الوجدانية وأخذ الدور[٤]. وعن طريق هذه المحددات تحدد على وجه الدقة مظاهره السلوكية وهو ما يعنينا هنا لأغراض الصورة، وبذلك يكون المرسل قد تمكن من تحويله إلى صورة يعرضها على شاشة التلفزيون وهنا نثير السؤال الآتي:

كيف يُحول المرسل المشاركة الوجدانية وأخذ الدور إلى صور؟

إن الإجابة على ذلك تقتضي أن يحدد معنى كلٍّ من المشاركة الوجدانية وأخذ الدور؛ ليتسنى بعد ذلك للمرسل معالجة هذين المتغيرين بطريقة درامية.

وبهدف تحديد معنى المشاركة الوجدانية نقول: إنها تعني بين ما تعني قدرة الطفل على التعاطف مع الآخر، عندما يتعرض إلى محنة أو مشكلة، وهنا تبرز الصورة في إظهار هذا التعاطف مع الآخر، ليرسل من ثَم إلى الأطفال بقصد استدخاله إلى أحكامهم الخلقية.

والأسلوب الذي تعتمده الصورة في استثارة تعاطف الطفل هو الاعتماد على نموذج إيثاري، فلقد وجد أن تعرض الطفل إلى نموذج إيثاري يفضي إلى نمذجة سلوكه الإيثاري، وفي هذا الصدد نشير إلى أن إحدى الدراسات عرضت على الأطفال نموذجًا إيثاريًّا يؤدي مهمات إيثارية من قبيل المشاركة الوجدانية والتبرع إلى المؤسسة الخيرية، وقد تمكن هذا النموذج في النهاية من استثارة الأطفال وحملهم على مشاركة غيرهم من الناحية الوجدانية، وكذلك

من التبرع إلى المؤسسة الخيرية[٥]. هذا يشير حقيقة إلى أن للنموذج أثره في إحداث هذا النمط من السلوك، ولولاه لما تمكن الباحث من استثارة التعاطف لدى الأطفال.

ومما له دلالة في هذا الصدد أن الصورة من الممكن أن تزيد مستوى التعاطف لدى الأطفال في حال وجود تقارب عمري بين النموذج والأطفال، فلقد تبين من إحدى الدراسات التي أجريت في هذا الصدد أن الأطفال الذين شاهدوا طفلًا في أعمارهم، وهو يخاطر بحياته من أجل أن ينقذ كلبًا من خطر يحدق به ارتفع مستوى مساعدتهم فيما بعد للكلاب الصغيرة التي تتعرض إلى المخاطر[٦]. وعلى ذلك فإن التقارب العمري بين النموذج والأطفال يزيد من مستوى التعاطف، ومن ثَم الحض على تقديم المساعدة؛ ولعل ذلك يعود إلى أن النموذج الطفل يكون أكثر جاذبية للأطفال من النموذج الراشد، فضلًا عن كونه أكثر ألفة إليهم من النماذج الأخرى.

أما المحدد الثاني للسلوك الإيثاري، فهو أخذ الدور Role taking ونعني به: قدرة الطفل على تصور نفسه أن يكون في مكان الآخر عندما يتعرض إلى مشكلة أو محنة. ولتحويل ذلك إلى فعل سلوكي يُرسل عبر الصورة إلى الأطفال فإن الأمر يقتضي التركيز على أخذ الدور عبر البرامج المعدة للأطفال، وتثبيتًا لهذا لرأي توصلت إحدى الدراسات التي أُجريت على أطفال بعمر ست سنوات، أن السلوك الإيثاري زاد لديهم إثر تلقيهم برنامجًا تدريبيًّا في مهارة أخذ الدور[٧].

وهنا نصل إلى مسألة لابد من الإشارة إليها، وهي أن مهارة أخذ الدور من الممكن أن تتشكل بفعل الصورة التلفزيونية، طالما أن الطفل يتعرض لها بشكل مستمر، وعلى ذلك فإن مهارة أخذ الدور يمكن تدريب الطفل عليها عبر سلسلة من المواقف التي تنطوي على هذه المهارة، شريطة أن تكون النماذج

التي تؤدي هذه المهارة الاجتماعية من الأطفال، وأن تشتمل المواقف الدالة على مضمون هذه المهارة على شيء من الإثارة، بهدف جعل الطفل منجذبًا إلى البرنامج طول مدة البث.

لا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن تَعَرُّض الطفل إلى السلوك الإيثاري عبر الصورة سيترتب عليه آثارٌ نفسية، وهنا نشير إلى أهمها:

أ- إن مشاهدة الأطفال للبرامج التي تتناول السلوك الإيثاري، وبصورة مستمرة، سيفضي ذلك إلى اكتسابهم أنماطًا سلوكية مقبولة اجتماعيًّا، تلك الأنماط التي تكون من قبيل: التعاون، والتعاطف، ومساعدة الأفراد الذين يقعون في محنة أو مأزق، شريطة أن يكون هناك اتساق في الخطاب بين ما تطرحه الصورة التلفزيونية وقنوات التنشئة الاجتماعية الأخرى، فيما يتصل بمسألة اكتساب الأطفال لهذا النمط من السلوك.

ب- كذلك تؤدي مشاهدة البرامج التي تتناول السلوك الإيثاري إلى تعلم الأطفال قواعد الأدب الاجتماعي، وذلك باعتماد أسلوب التفاهم والحوار في حل الخلافات التي تنشأ مع الغير.

ج- ولعل الشعور بآلام الآخرين عندما يتعرضون إلى كارثة أو محنة يُعد من الآثار النفسية المترتبة على مشاهدة الأطفال للبرامج التي تتناول السلوك الإيثاري.

د- ومما يترتب على مشاهدة الأطفال للبرامج التي يشيع فيها السلوك الإيثاري، اكتسابهم ألفاظًا مهذبة يستعملونها عند التفاعل مع أقرانهم.

٤ - اكتساب معلومات تتصل بالبيئة الطبيعية

تشير الشواهد الميدانية أن من بين الأهداف التي يسعى المرسل إلى تحقيقها عبر الصورة، تعريف الفرد بالبيئة الطبيعية التي يعيش في كنفها بقصد تنمية الوعي الطبيعي لديه إن صحَّ التعبير. وبطبيعة الحال إن تنمية مثل هذا النوع من الوعي، سيسهم في الحفاظ على البيئة الطبيعية وعدم الإساءة إلى مكوناتها، فضلًا عن تنمية مواردها والحفاظ عليها من التلف، وحقيقة الأمر أن محاولة تكوين عادات سلوكية مفضلة تتصل بالحفاظ على البيئة الطبيعية، إنما يبدأ ذلك في أعمار مبكرة، إذ تسهم قنوات التنشئة الاجتماعية في ذلك ابتداءً من الأسرة وانتهاء بقنوات الاتصال الجمعية في تكوين عادات سلوكية بيئية مفضلة، تلك العادات التي تجعل الطفل يحسن التعامل مع مكوناتها، ولعل الصورة بسحرها وجاذبيتها، تعد الوسيلة المناسبة في الإسهام بتكوين هذه العادات، وحتى يتمكن المرسل من تكوين عادات سلوكية سليمة إزاء البيئة الطبيعية، فإن الأمر يقتضي تعريف الطفل أولًا وقبل كل شيء بهذه البيئة والعناصر المكونة لها؛ ليتسنى له من ثَم تقنين سلوكه إزاءها وعدم الإساءة إليها.

وهنا لا بد للصورة أن تركز على المكونات الدالة على البيئة الطبيعية، ونقصد بها: درجات الحرارة، والرطوبة، والأمطار، والرياح، وأشعة الشمس، وأنماط البيئات الطبيعية التي تضم: البيئة الجبلية، والسهلية، والساحلية، والصحراوية، ثم بعد ذلك. تعرف الصورة الطفل بفوائدها وأثرها في ديمومة الحياة، ودور الإنسان في الحفاظ عليها ثم تنتقل الصورة بعد إيضاح هذه المكونات وفوائدها إلى عرض الآثار السلبية في حال الإساءة إليها، والصورة التي تنقل كل هذا عن البيئة الطبيعية، إنما تسهم في جعل الطفل يكتسب المعلومات المطلوبة عن بيئته الطبيعية هذه وتثبيتًا للرأي الذي انطلقنا منه من أن الصورة تسهم في إثراء معارف الطفل حول البيئة الطبيعية، توصلت إحدى

الدراسات التي أجريت على الأطفال العراقيين إلى هذه النتيجة إثر المشاهدة المستمرة لبرنامج (افتح يا سمسم) المعد للأطفال[٨].

إن من البيِّن الواضح أن المعلومات التي يكتسبها الطفل عن بيئته الطبيعية، لا يمكن إثراؤها بشكل كافٍ ما لم تسهم الصورة فيها بشكل فاعل انطلاقًا من القول القائل: إن صورة واحدة تعادل كثيرًا من الكلام، فما بالك إن كانت هناك صورة متعددة؟

من المؤكد أن الصورة المتعددة، ستعمد إلى تبصير الأفراد بالأشياء المجهولة والخفية عنهم التي لم تتمكن المعلومات المتيسرة من كشف النقاب عنها.

٥- اكتساب معلومات تتصل بالبيئة الاجتماعية

من الملاحظ أن الطفل يأتي إلى الدنيا، وهو لا يعرف شيئًا عما تعارف عليه الناس في ثقافته، وبقصد فهم العالم المحيط به والإلمام بقواعد الأخلاق السائدة في ثقافته والمعايير التي يتم بموجبها ضبط سلوك الأفراد، فإن قنوات التنشئة الاجتماعية هي التي تتولى عملية إعداد الطفل للعيش في البيئة الاجتماعية. ويقتضي هذا الإعداد أن تسهم كل قنوات التنشئة بإيصال رسائل الإعداد الاجتماعي، بهدف تمكينه من التوافق مع المجتمع إلى جانب الإشراف على إعداد أبنائه في المستقبل بالطريقة نفسها التي أعد بها.

إن الصورة لكي تسهم بعملية تعريف الطفل ببيئته الاجتماعية تقتضي الضرورة هنا استعراض المواقف التي يحدث فيها التفاعل مع الآخرين والمعايير التي تحكم هذا التفاعل، ولعل الموقف الأول الذي ينبغي التركيز عليه هو الموقف الأسري، وهنا تركز الصورة على الأب، والأم، والأخوة، والأخوات، مع بيان أدوارهم في الأسرة، وكذلك بيان قواعد الأخلاق

السائدة بينهم بعد ذلك تعرض الصورة الموقف الثاني الذي يتفاعل معه الطفل، ألا وهو الجيرة المحلية، إذ تعرض الجيرة المحلية هذه على هيئة مجموعة من الأفراد بينهم كبار السن وصغار مثله يعلب معهم ألعابًا مختلفة، وبما أن اللعب ينطوي على قواعد ينبغي مراعاتها من المشاركين، فإن تلك القواعد في اللعب، إنما هي تهيئ بطريقة غير مباشرة لقبول معايير الجماعة والاتفاق معهم عليها.

ثم بعد ذلك تعرض الصورة موقفًا ثالثًا يتم فيه التفاعل، ذلك الموقف الذي يتمثل بالمدرسة إذ تتسع في هذا الموقف شبكة علاقاته الاجتماعية، فيجد أن هناك أطفالًا بعمره يشاركونه الصف الدراسي، وهناك أيضًا راشدون يعلمونه قواعد القراءة والكتابة وهناك إدارة تربوية، مما يجعله يراعي القواعد المرعية.

كما تعرض الصورة في هذا الموقف الطفل وهو يتعرض إلى المقررات وذلك من خلال قراءة موضوعاتها وإتقان عملية الكتابة، بعد ذلك تنتقل الصورة إلى منزل الطفل لمتابعته وهو ينجز واجباته الدراسية، وبعد الانتهاء منها يتفرغ لممارسة هواياته المفضلة، وبذلك تكون الصورة قد عمدت إلى تزويد الطفل ببعض المهارات الاجتماعية، تلك المهارات التي تساعده على إتقان عملية التفاعل الاجتماعي.

٦- اكتساب مفاهيم صحية

تشير الوقائع الميدانية إلى أن المشاهدة التلفزيونية التي تشتمل على معلومات صحية تجعل صغار السن يكتسبون منها مفاهيم صحية، هم في مسيس الحاجة إليها. وفي هذا السياق نشير إلى أهمها:

أ- تحذر بعض البرامج التلفزيونية المعدة للأطفال من العبث بالنفط أو

بمشتقاته، إذ إن العبث بهذه المادة أو بالمواد المشتقة منها، سيفضي إلى الحرائق التي تلتهم المنزل وأثاثه ومستلزماته الأخرى، فضلًا عن إلحاق الأذى ببعض أفراد الأسرة.

ب- كذلك تحذر الصورة التلفزيونية من سوء استعمال الأدوات المنزلية كالمناشير الكهربائية أو أدوات الفرم أو الأدوات الحادة كالسكين على سبيل المثال، أو الأدوات الكهربائية، أو الأجهزة الكهربائية الموجودة داخل المنزل، أو الأدوات الحارة كالمدفئة، والحقيقة أن الصورة لا تكفي بإطلاق التحذيرات فحسب، وإنما تبين الأضرار الناجمة عن سوء استعمال هذه الأدوات؛ كأن تعرض هنا يدًا نازفة، أو محترقة، أو كسرًا في ذراع أو قدم، أو وجهًا محترقًا، في محاولة لتنفير الطفل من هذه الأدوات وعدم الاقتراب منها.

ج- كما تعمد الصورة إلى جعل الطفل يكتسب بعض المفاهيم الصحية، وذلك بتحذيره من تناول الأطعمة التي يجهل مصدرها، وتوحي الصورة هنا إلى احتمال أن تكون هذه الأطعمة غير صالحة أو أنها ملوثة، فضلًا عن التشكيك بصلاحية تلك التي تباع على ناصية الطرقات.

د- وحتى تكتمل المفاهيم الصحية التي ينبغي على الطفل أن يكتسبها تعتمد الصورة التلفزيونية، إلى تحذيره من المياه التي يشربها، ويأتي هذا التحذير من خلال الإشارة إلى ضرورة معرفة المصدر الذي تأتي منه المياه أولًا، ومعرفة نوعية الإناء الذي توضع فيه ثانيًا، وكذلك التثبت من نظافته ثالثًا، والتثبت أيضًا من عدم ملامسة الأفواه له رابعًا.

والحقيقة أن هذه التحذيرات التي تعرضها الصورة التلفزيونية، ستجعل الطفل يكتسب بعضها أو معظمها، شريطة أن يكون هناك سلسلة من التعزيزات لمثل هذه المفاهيم بقصد مساعدته على اكتسابها.

هـ-والصورة هنا لا تكتفي بتحذير الطفل من شرب المياه التي لا يعرف مصدرها أو لم يتثبت من نظافتها فحسب، وإنما يحذر أيضًا من الاستحمام بمياه قذرة، كما هو الحال في مياه الترع، والجداول، والبرك، إذ إن الاستحمام بمثل هذه المياه، سينجم عنه بعض الأمراض؛ كالبلهارسيا على سبيل المثال أو الإصابة ببعض الأمراض الجلدية، هذه التحذيرات وأمثالها يرسلها المرسل عبر الصورة التلفزيونية بصيغة أفعال سلوكية، بقصد تشكيل عادات صحية سليمة لدى الطفل.

و- وتركز الصورة التلفزيونية بين ما تركز على تنبيه الطفل إلى ضرورة الاستحمام اليومي، بهدف التخلص من الروائح والتعرق، ولا سيما في أوقات الحر، وهنا توحي الصورة إلى إحساس الطفل بالراحة والنشاط والحيوية جراء الاستحمام، فضلًا عن تخلصه من الأمراض.

ز- وتنطوي الصورة التلفزيونية، كما لوحظ في بعض البرامج المعدة للطفل، إشارات تنطوي على ضرورة غسل الأيدي بالماء والصابون بعد الانتهاء من المرافق الصحية.

ط- ومن العادات الصحية التي يحرص المرسل على تنميتها لدى الطفل، تنظيف الأسنان في الصباح، مع بيان الفوائد المترتبة على ديمومة هذه العادات السلوكية وكذلك بيان الأضرار الناجمة عن إطفاء هذه العادة.

ظ- وأخيرًا فإن تجنب استعمال أدوات الغير، يعد من المفاهيم الصحية التي يحرص المرسل على تشكيلها لدى الطفل في وقت مبكر، وذلك بإرسال صورة توضح مساوئ استعمال أدوات الغير.

٧- تحسين مستوى لغة الطفل

تشير الدراسات في هذا الصدد إلى أن مشاهدة البرامج التلفزيونية المعدة

للأطفال، تفضي إلى تحسين مستوى لغتهم، وأن ثمة شواهد ميدانية تعزز هذا الرأي ومن بينها:

أ- لقد وجد أن برامج الأطفال تعتمد على الجملة القصيرة[٩]، وهذا يساعد الأطفال على إدراك المعنى في وقت قصير، فضلًا عن أن قصر الجملة يُمَكِّنهم من الإلمام بتفاصيل الحدث المعني.

ب-كذلك وجد أن هذه البرامج تجعل الأطفال يكتسبون مفردات جديدة[١٠]، ولا سيما أولئك الذين يكثرون مشاهدتها، إذ لم تكن مثل هذه المفردات ضمن ذخيرتهم اللغوية في وقت مضى، وإنما تَكَوَّنت بعد المشاهدة، على أن هذه المفردات روعي فيها قدرة الأطفال على فهمها، ولذا كانت بسيطة وواضحة، ولعل الهدف المتوخى من إشاعتها، هو حث الأطفال على استعمالها في وصف الأشياء وعند التعامل مع الأقران، فضلًا عن التضامن مع المدرسة في إغناء الذخيرة اللغوية لدى الأطفال.

ج- كما أن مشاهدة البرامج المعدة للأطفال، تجعلهم يألفون اللغة الفصحى[١١]، على أن كثرة التعرض لمشاهدة هذه البرامج، سيفضي إلى إتقان الأطفال الحوار مع الآخرين، إلى جانب تنمية قدرتهم في التعبير عن أفكارهم.

د- وتشير الوقائع الميدانية المستمدة من الدراسات، إلى أن الأطفال تعلموا من البرامج الموجهة إليهم قصصًا[١٢] أو حكايات، مما يترتب على ذلك إتقان عملية السرد، إلى جانب إتقان عملية ترتيب الأحداث طبقًا لورودها ضمن التسلسل المنطقي الذي حدثت فيه، كما أن إتقان السرد يفضي إلى تنمية القدرة التعبيرية، وهذا معناه أن إتقان السرد سيجعل الأطفال يتقنون الحديث عن قضية معينة أو حدث معين بسهولة ويسر، دون أن يواجهوا صعوبة في هذا المجال.

هـ-وقد تبين من النتائج التي توصلت إليها الدراسات في هذا الصدد، أن هذه البرامج مكنت الأطفال من تمييز الحروف[١٣]؛ وذلك بفعل التكرار واستعمال الألوان والتكبير، وهو الأمر الذي مكّن هؤلاء الأطفال من تمييزها وتفريقها بعضها عن بعض.

و- ولعل من الآثار المترتبة على مشاهدة هذه البرامج، أنها زادت من مستوى القراءة لديهم[١٤]، مقارنة بأولئك الذين لم يتعرضوا لهذا النوع من البرامج.

من ذلك يتضح أن مشاهدة الأطفال للبرامج المعدة لهم، ولا سيما البرامج التي تتميز بنوعية عالية من الطرح والتناول، ستفضي إلى تحسين مستوى لغتهم، فضلًا عن تنمية قدرتهم التعبيرية.

٨- تعزيز المعتقدات الدينية

تسهم الصورة مع قنوات التنشئة الاجتماعية الأخرى، في تعريف الطفل بالمعتقدات الدينية التي ينبغي أن يعتقد بها، وذلك بتعليمه الأركان التي تستند إليها ديانته، وعلى سبيل المثال يستند الدين الإسلامي إلى أركان خمسة تتمثل: بقول الشهادتين: لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، والصلاة، والصوم، والزكاة، وحج البيت.

وهنا تعمد الصورة إلى تذكير الطفل بهذه الأركان بين الآونة والأخرى، ثم يفصل الحديث بطريقة مبسطة عن كل ركن وأهميته للفرد والمجتمع:

فالركن الأول: يُعَرَّف للطفل من خلال الأفلام والمسلسلات التي تناولت موضوع الهجرة النبوية، وقد يجد الطفل صعوبة في فهم محتواها، ومع ذلك يعرف هذا الركن من خلال التكرار المستمر مع إسهام الأسرة والمدرسة في تعريفه وتوضيحه.

والركن الثاني: يعرف من خلال سماع الأذان، فما أن يسمع الطفل الأذان عبر الشاشة، حتى يستدعي الطقوس المرتبطة بالصلاة، تلك الطقوس التي تبتدئ بالوضوء مرورًا بتهيئة سجادة الصلاة ثم تنتهي بالوقوف أمام القبلة، والحقيقة أن هذا الركن قد تناولته الصورة بإسهاب، وذلك لسهولة تحويله إلى أفعال سلوكية.

وأما الركن الثالث: فهو الصوم، ويعرف من خلال تركيز الصورة على الطقوس المرتبطة به، تلك الطقوس التي تشتمل على الإحجام عن تناول الطعام، والتهيؤ خلال النهار لإعداد وجبة الإفطار واجتماع أفراد الأسرة بعد الأذان حول المائدة، ثم تناول بعض الحلويات بعد الفراغ من الإفطار، ثم بعد ذلك تنتهي هذه الطقوس بقرع الطبول ليلًا لغرض تنبيه الناس إلى موعد السحور. وبذلك يكون المرسل قد تمكَّن من خلال الصورة إلى تعريف الطفل بهذا الركن.

وفيما يتعلق بالركن الرابع: وهو الزكاة فإن الإشارات الدالة عليه عبر الصورة تعد ضعيفة، بسبب قلة البرامج التي تتناول هذا الركن؛ ولذا فإن هذا الركن بحاجة إلى المزيد من الصور التي تركز على مضمونه، بهدف تمكين الطفل من مشاهدة الأنماط السلوكية الدالة عليه.

وأخيرًا: حج البيت إذ يعرف هذا الركن من خلال تركيز الصورة على الشعائر الدالة عليه، فهناك النية على حج البيت، ثم انتظار موعد السفر، وعند اقتراب هذا الموعد يرتدي الحاج ملابس الإحرام وبعد ذلك تُظهر الصورة الحجيج وهم يطوفون حول بيت الله الحرام، ثم الدعاء؛ أن يغفر الله ما تقدم من ذنوبهم وما تأخر.

نخلص إلى القول: إن عرض هذه الشعائر عبر شاشة التلفزيون، سيفضي

إلى تكوين تصور عن الدين الذي يعتقد به الطفل، إلى جانب استثارة تساؤلاته عن أهميتها.

٩- اكتساب المعلومات السياسية

إن الحديث عن اكتساب الطفل للمعلومات السياسية، يقودنا إلى إثارة السؤالين الآتيين:

في أي عمر يكتسب الطفل المعلومات السياسية؟ ثم ما دور الصورة في اكتساب هذه المعلومات؟

وبقدر ما يتعلق الأمر بالسؤال الأول، نقول: إن الطفل يكتسب المعلومات السياسية في الفترة الواقعة بين الطفولة المتأخرة والمراهقة المبكرة[١٥]، أي: بين (١٢-١٤) سنة، ففي هذه المرحلة العمرية، يكون الطفل قد بلغ مستوى متقدمًا في النمو العقلي، ولعل ذلك يجعله مهيئًا لاكتساب بعض المعلومات عن العالم الذي يدور حوله، بدليل أن الأطفال الذين تراوحت أعمارهم بين (١٣-١٤) سنة يفهمون السياسة بأساليب مجردة، أكثر من الأطفال الذين تراوحت أعمارهم بين (٩-١٠) سنوات[١٦] ، ولا سيما في السؤال المطروح عن معنى الحكومة.

لنتمعن الآن في الإجابات التي قدمها الأطفال الكبار والصغار عن الأسئلة التي طرحت عليهم.

نشير الإجابات التي قدمها الأطفال الكبار إلى أن مؤسسات مثل الكونغرس، هي ما يشير إلى الحكومة[١٧]. في حين قدم الأطفال الصغار إجابات تشير إلى أن الحكومة تتمثل في شخصيات مثل الرئيس [١٨]. وعن الفروق السياسية الحاصلة بين الأحزاب، تمكن الأطفال الكبار من كشفها أكثر من الأطفال الصغار[١٩].

وهذا يشير حقيقة إلى أن النمو العقلي الذي بلغه الأطفال الكبار هو الذي أسهم في كشف هذه الفروق، ومن ثم الإشارة إليها بشكل واضح في حين لم يتمكن الأطفال الصغار من كشف هذه الفروق، ولعل ذلك يعود إلى أن نموهم العقلي لم يمكنهم من إدراك حقيقة هذه الفروق.

إما بصدد السؤال الثاني المتعلق بالصورة ودورها في اكتساب المعلومات السياسية فيمكن القول: إن الأطفال الصغار لا يمكنهم الإلمام بالقضايا السياسية كافة، ولكن بالإمكان الإلمام ببعض القضايا السياسية التي يغلب عليها الطابع العام، وليس الطابع التفصيلي، أي: بمعنى الإلمام بمعاني المفاهيم السياسية فحسب، أما التفاصيل المتعلقة بهذه المفاهيم، فإن المرسل يتجاهلها تمامًا، وذلك لعدم تمكن الأطفال في هذه المرحلة العمرية من فهمها واستيعابها، ولذا يرجئ الحديث عنها إلى وقت آخر.

إن المتتبع للبرامج التلفزيونية المعدة للأطفال، يجد أن ثمة اهتمامًا بمفاهيم سياسية محددة، تلك المفاهيم التي يحاول المرسل أن يحث الأطفال على تعلمها، ومن بين هذه المفاهيم.

أ- تعريف الطفل باسم الوطن الذي ينتمي إليه كأن يظهر طفل على الشاشة يقول: أنا من العراق، وطني هو العراق. في محاولة لترسيخ اسم الوطن لدى الطفل.

ب-تعريف الطفل بعَلَم الوطن من حيث الشكل والألوان التي يتألف منها والرموز التي يتضمنها مع توضيح لهذه الرموز بطريقة مبسطة.

ج- تعريف الطفل بالنشيد الوطني وما يمثله بالنسبة للوطن.

د- تعريف الطفل بعاصمة الوطن ومدنه، مع الإشارة إلى موقعها على خارطته.

هـ-تعريف الطفل بحدود الوطن الخارجية، وهنا تركز الصورة على الدول التي تجاور الوطن من الجهات الأربع.

و- تعريف الطفل بعدد سكان الوطن مع بيان المتعلمين فيه وكذلك نسبة الأمية، ولا سيما بين الكبار.

ز- تعريف الطفل بالدين الرسمي للوطن وتعريفه كذلك باللغة الرسمية التي يتحدث بها غالبية السكان.

ط- تعريف الطفل بطبيعة نظام الحكم السائد في الوطن، سواء كان نظامًا جمهوريًّا أم ملكيًّا.

ظ- تعريف الطفل بأعداء الوطن وتسمية مواطنهم.

ص- تعريف الطفل بتاريخ الوطن وهنا تركز الصورة على أهم المآثر والبطولات التي تميز بها أبناؤه.

من ذلك يتضح، أن مشاهدة الأطفال للبرامج التي تنطوي على معلومات سياسية عامة، ستزيد من معرفتهم بالعالم الذي يحيط بهم.

١٠ - اكتساب معلومات علمية

وجد من الدراسات التي أجريت حول البرامج العلمية المعدة للأطفال، أنها تسهم في تنمية معلوماتهم العلمية، وإذا نحن تقصينا نوعية هذه المعلومات، نجد أنها تتوزع على:

أ- معلومات تتصل بالوسائل التكنولوجية[٢٠] من قبيل: تشغيل الكهرباء، والسيارة، والقطار، والمحركات الأخرى، مع بيان المخاطر المترتبة على سوء استعمالها.

ولا ريب أن هذه المعلومات التي ترسل عبر الصورة، ستفضي إلى توسيع مدركات الأطفال عما يحدث في العالم، وهو الأمر الذي يزيد من معرفتهم بأساليب التعامل مع الأشياء الموجودة فيه، ومنها الوسائل التكنولوجية على وجه التحديد.

ب- معلومات تتصل بوسائل الاتصال وأساليب استعمالها وعلى سبيل المثال لا الحصر؛ وجد أن مشاهدة الأطفال للبرامج التلفزيونية التي يغلب عليها الطابع التربوي، أنها تعمد إلى تعليم الأطفال أساليب استعمال الهاتف[٢١]، لعل معلومات من هذا القبيل تؤدي إلى تقليل الحرج بالنسبة للأطفال، عندما يتعرضون لموقف يستدعي منهم الاتصال بذويهم وبالآخرين لنجدتهم.

ج- معلومات تتصل بالقواعد المتبعة عند العبور من الطرقات التي تتوفر فيها الإشارات الضوئية، كما أن هذه البرامج تزود الأطفال بمعلومات عن القواعد المتبعة عند العبور من الطرقات التي تتوفر بالقرب منه الأنفاق والجسور، كذلك تزود الأطفال، بمعلومات عن الإشارات المرورية وضرورة مراعاتها تجنبًا للمخاطر التي تودي بحياتهم.

د- معلومات تستهدف تزويد الأطفال بالمهارات التي تمكنهم من معالجة الأشياء الموجودة في عالمهم بطريقة منطقية، ولا سيما أولئك المحرومين منهم من التنبيهات الثقافية.

وهنا يبرز دور الصورة في تعليم الأطفال المعالجة المنطقية للأشياء فلقد وجد من إحدى الدراسات التي أجريت على الأطفال المكسيكيين من الذين ينتمون إلى أسر فقيرة أن التفكير المنطقي لدى هؤلاء الأطفال، أخذ بالتنامي إثر مشاهدة برنامج (شارع سمسم)[٢٢]. وهذا يدعم قولنا: إن البرامج

التلفزيونية التي تتناول موضوعات التفكير المنطقي، تؤدي إلى تعليم الأطفال قواعد معالجة الأشياء بطريقة منطقية أو عقلانية.

هـ- هناك معلومات تبث عبر الصورة التلفزيونية، يراد منها تبليغ الأطفال بوجود تشابه بين الناس في أرجاء مختلفة من العالم، ولعل هذا التشابه يتضح في الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية، ولقد أسند هذا الرأي من الدراسات التي أجريت في هذا الصدد، ففي إحدى الدراسات عرض على مجموعة من الأطفال فيلمًا يتناول لعبة ا لأطفال، وهي عبارة عن كرات زرقاء كبيرة، وبعد مشاهدتهم هذه اللعبة تبين أن الأطفال أخذوا يدركون أن ثمة تشابهًا كبيرًا بين الأفراد في كل مكان، وأنهم يعتقدون أن الأطفال في بلدان أخرى؛ أصحاء وسعداء وأغنياء ولديهم القدرة على المساعدة. كما وجد أن هؤلاء الأطفال أخذوا يشعرون أن الولايات المتحدة وأطفالها، ليس بالضرورة أن يكونوا متفوقين ومرغوب فيهم، كما كان الحال قبل المشاهدة[٢٣].

واضح أن الصورة التلفزيونية، التي تتعرض لأحوال الشعوب بطريقة موضوعية ستحدث تغيراً في معلومات الأفراد عنها، ومنهم الأطفال على وجه التحديد.

و- معلومات تتعلق بالمفاهيم الرياضية من قبيل: الأرقام، وعملية العد، والعمليات الحسابية، والتمييز بين أشكال الأرقام، وتعريف الأطفال بالأشكال الهندسية ومساعدتهم على التمييز بينها[٢٤].

وهي في حقيقة الأمر مفاهيم أولية، يتم تعليمها للأطفال في المراحل الدراسية الأولى، وبذلك فإن هذه البرامج ترسخ لدى الأطفال المفهوم الرياضي بصيغة محسوسة، بحيث تزيد من سرعة اكتسابه، وفي الوقت نفسه تعمد هذه البرامج إلى إسناد المقررات الدراسية في توجهاتها التربوية.

١١ - استثارة الخيال العلمي

لقد غدا الخيال العلمي Scientific imagination من الموضوعات المهمة التي استحوذت على اهتمام الباحثين في ميدان الإبداع، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى أن الخيال العلمي يعد من مقومات الإبداع إذ لا يمكننا أن نتصور إبداعًا من دون خيال علمي، وعلى ذلك فإن الخيال العلمي ملازم للإبداع وسابق عليه، بمعنى أن المبدع لا يأتي بشيء جديد كل الجدة، إلا بعد أن يستدعي إلى ذهنه صورًا حسية عن الشيء موضوع المشكلة، على أن هذه الصور التي أوجدها المبدع غير موجودة تمامًا، ولم يسبق لها أن وجدت في مكان ما من العالم.

وإذن فإن الخيال العلمي يعد من المقومات الرئيسة للعملية الإبداعية، وهناك طرق متعددة لاستثارته لدى الأفراد، ولعل الصورة التي تشتمل على تنبيهات غنية، تعد واحدة من هذه الطرق.

وقدر ما يتعلق الأمر بالصورة وأثرها في استثارة الخيال العلمي، نقول: إن الصورة تستثير الخيال العلمي لدى الأطفال بعدد من الأساليب، ومن أهمها:

أ- التركيز على الطرح الواقعي عند تناول موضوعات الخيال العلمي وهذا معناه أن الصورة لكي تستثير الخيال العلمي، لا بد لها من الابتعاد عن الخرافة التي يتعذر على الأطفال تكوين تصور واضح عنها، فضلًا عن الابتعاد عن الخوارق، ذلك أن التركيز على موضوعات الخوارق سيشعر الطفل بالعجز وعدم القدرة على عمل أشياء معينة، ولذا فإن الطرح الواقعي والابتعاد عن موضوعات الخوارق، مسألة باتت في غاية الأهمية، إذا أريد للصورة أن تستثير الخيال العلمي لدى الأطفال.

ب- التركيز على مفاهيم علمية محددة تبث عبر البرامج الموجهة إلى الأطفال، وهنا نجد من الضروري إجراء مسح للمفاهيم العلمية التي ينبغي

على الأطفال تعلمها؛ بقصد مساعدتهم على تفسير الظواهر الحادثة في العالم الذي يعيشون فيه، طبقًا لتلك المفاهيم.

ج- وبعد تزويد الأطفال بالمفاهيم العلمية المطلوبة، نعمد الصورة إلى التركيز على مشكلة علمية معينة، يظهر فيها الأطفال في حالة حيرة، إذ هم يبحثون عن حلول لها.

وهنا، يثير الأطفال بعض التساؤلات في محاولة منهم لفهم المشكلة ولكي يتوصل الأطفال إلى الحلول المناسبة، تُظْهِر الصورة الأطفال وهم يضعون مجموعة من الفرضيات للمشكلة المعنية، بعد قراءة متمعنة للمصادر العلمية، ثم بعد ذلك يهيئون الإجراءات اللازمة لعملية التجريب، بهدف اختبار صحة فرضياتهم. وبذلك تكون الصورة قد جذبت انتباه الأطفال إلى ضرورة التركيز على مشكلة معينة، ثم انتقاء الحلول المناسبة لها.

ثانيًا: الأنماط السلوكية غير المقبولة

ونقصد بها تلك الأنماط من السلوك التي لا تحظى بالقبول الاجتماعي كما أنها لا تتطابق مع المعايير الاجتماعية السائدة وفي هذا السياق نشير إلى الأنماط السلوكية غير المقبولة التي تعمد الصورة إلى تشكيلها:

١- اكتساب نمط سلوكي يتسم بالحيلة والخديعة والتضليل.
٢- اكتساب التعصب.
٣- اكتساب السلوك العدواني.

١- اكتساب نمط سلوكي يتسم بالحيلة والخديعة والتضليل

بات واضحًا أن أفلام الجريمة، واللصوصية، والسرقة، ومطاردات الشرطة تكسب المشاهدين ولا سيما الأطفال والمراهقين منهم على وجه التحديد، نمطًا سلوكيًّا يتسم بالحيلة والخديعة، فلقد تبين من الملاحظات

اليومية أن بعض المراهقين ارتكبوا جنحًا نتيجة التأثر بأساليب المجرم التي ارتكب من خلالها جرائمه، وقد أفضى بهم التأثر إلى نمذجة أحد أساليبه الإجرامية، أو بعبارة أخرى إن الطريقة التي ارتكبت بها الجريمة التلفزيونية، اتبعها هؤلاء المراهقون بتفاصيلها كافة، ابتداءً من انتقاء الهدف، ومرورًا بمشاهدته ، وانتهاء باقتحامه والاستحواذ على ممتلكاته.

ومما له دلالة في هذا الصدد، أن هؤلاء المراهقين الذين خرقوا المعيار الأخلاقي، لم يسبق لهم أن سجلوا مخالفات قانونية تذكر، وكان بعضهم يتمتع بمناخ أسري يتسم بالدفء، وآخرون منهم يتمتعون بيسر اقتصادي، إلى جانب تمتعهم بقلة عدد أفراد أسرهم.

والحقيقة أن مثل هذه الظروف تجعلهم أبعد عن الجنوح من غيرهم الذين يعانون من مناخ أسري مضطرب ومن ضنك العيش، فضلًا عن المعاناة من الازدحام داخل المنزل.

لقد وجد أن الصورة التي يتعرض لها المشاهدون من صغار السن، لا تعمد إلى جعلهم ينمذجون أنماطًا سلوكية تتصف بالحيلة والخديعة فحسب وإنما تجعلهم أيضًا ينمذجون أنماطًا سلوكية تتصف بالحيطة والحذر والتجنب، لئلا يقعوا في قبضة الشرطة[٢٥]. وهذا يعني أن أثر الصورة كان فاعلًا في اتخاذ الحيطة والحذر من الشرطة، وتجنب الوقوع في قبضتها، ومن ثَم التواري عن أنظارها أثناء تنفيذ الفعل الإجرامي.

إذا نحن بحثنا عن الأسباب التي تجعل هؤلاء أكثر من غيرهم تأثرًا بهذا النمط من السلوك، وجدنا أن مشاهدة المجرم وهو يرتكب الإجرام، قد استثار إعجابهم من قدرته على التخطيط للجريمة ومن ثَم تنفيذها، ومما زاد من إعجابهم بالمجرم، قدرته الفائقة على إخضاع الآخرين لإرادته وفرض مطالبه

عليهم. وربما يعود سبب التأثر بهذا النمط من السلوك لدى الناشئة إلى الإعجاب بالأساليب الإجرامية التي شاهدوها على شاشة التلفزيون، ذلك الإعجاب الذي أفضى بهم في وقت لاحق إلى تجريب بعضها في الميدان.

٢- اكتساب التعصب

لقد وجد أن الصورة قد تنمي التعصب لدى الأطفال بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة وذلك من خلال عرض بعض الفئات الاجتماعية المستهدفة، بصورة سلبية، وبشكل متكرر مما يؤدي إلى أن تنعت بنعوت مختلفة، وفي مرحلة لاحقة نجد أن هذه النعوت تتحول إلى نوع من الصور النمطية، بعبارة أخرى أننا نبدأ باستدعاء تلك الصور النمطية عن هذه الفئة أو تلك، كلما تعرضنا لها أثناء التفاعل الحادث في الحياة اليومية، فعلى سبيل المثال؛ إن التعصب تجاه السود ازداد حدة إثر العرض المتكرر للسود وهم يعملون في مهن سجلت انخفاضًا شديدًا في مكانتها الاجتماعية[٢٦]، وهذا سيؤدي بالمحصلة النهائية إلى اشتراط جمهور المشاهدين، ومن المحتمل أن يزداد التعصب نحو هذه الفئة، ثم إن هذه الوسائل، ومنها التلفزيون، على سبيل المثال أخذ يركز على الجرائم التي يرتكبها بعض أفراد هذه الفئة [٢٧] -أي السود- وكأنها توحي إلى أن ما يحدث من جرائم وسوء الحال، إنما يرجع سببه إلى هذه الفئة وليس سواها.

كما أن هذه الوسائل أسهمت بطريقة أو بأخرى في زيادة حدة التعصب بين الجماعات[٢٨] المختلفة، وذلك من خلال التركيز على الفروق الموجودة بين هذه الجماعات ومحاولة عزو بعض الصفات الإيجابية لإحداها، وهذا سيؤدي بالطبع إلى شعور هذه الجماعة بالتفوق والتميز في حين أن الجماعات الأخرى ستشعر بالضآلة وعدم الأهمية.

بيد أن الصورة بالإمكان ان تخفف من التعصب، عندما تشرع بعرض

الجماعات التي يتألف منها المجتمع بطريقة إيجابية وتجنب إثارة الصفات السلبية التي تتصف بها هذه الجماعة أو تلك.

نذكر في هذا السياق أن إحدى فضائل البرنامج الأمريكي (شارع سمسم) أنه أخذ يعرض كل الجماعات من أجناس مختلفة بطريقة إيجابية[٢٩] لا تثير البغضاء أو السخرية أو الحقد. وعلى ذلك فإن هذا البرنامج بالإمكان أن ينمي لدى الطفل اتجاهات إيجابية نحو الجماعات المختلفة، إن كان ثمة اتساق في الخطاب الوارد في الصورة أثناء التعرض للجماعات المستهدفة.

إن مما يجب الإشارة إليه في هذا الصدد، الفترة الزمنية التي يصرفها الطفل في مشاهدة برنامج مثل (شارع سمسم) إذ ينبغي أن تؤخذ في ا لحسبان، فلقد وجد أن الفترة الزمنية تسهم إلى جانب اتساق الصور المتدفقة عن الجماعات المستهدفة في تخفيف حدة التعصب.

نشير في هذا السياق إلى أن إحدى الدراسات التي استهدفت الكشف عن الأثر المترتب على مشاهدة برنامج (شارع سمسم) في الاتجاهات المتكونة لدى الأطفال نحو جماعات الأقلية، وجدت أن الأطفال الذين شاهدوا البرنامج لفترة سنتين كانت اتجاهاتهم نحو جماعات الأقلية أكثر إيجابية مقارنة باتجاهات أولئك الذين شاهدوا البرنامج لفترة سنة واحدة[٣٠] ولعل ذلك يشير صراحة إلى أن الصورة التلفزيونية قد تجعل الطفل متعصبًا تجاه جماعات معينة أو فئات اجتماعية معينة، فيما لو عرضت هذه الجماعة أو تلك الفئة الاجتماعية بطريقة سلبية، تلك الطريقة التي يتم من خلالها إثارة السخرية والحقد والبغضاء تجاهها.

٣- اكتساب السلوك العدواني

قبل الخوض في موضوع العلاقة بين المشاهدة التلفزيونية والسلوك العدواني، نثير هنا بعض التساؤلات، هل مشاهدة الصورة التلفزيونية التي تنطوي على العدوان تجعل الفرد عدوانيًا؟ أم أن سمة العدوان عند الفرد هي التي تؤدي به إلى مشاهدة صور عدوانية؟ أم أن موضوع العلاقة هذه يتخلله عدد من المتغيرات الوسيطة إذ تعجل من استثارته؟

في الحقيقة إن هذه التساؤلات وغيرها لم تتوصل الدراسات بصددها إلى نتائج نهائية وقاطعة، ولكي نتوصل إلى حقيقة الإشكالية في هذه العلاقة، نجد لزامًا أن نستعرض هنا، الاتجاهات الفكرية التي تستند إليها العلاقة الحادثة بين متغيري الصورة والسلوك العدواني.

إن المتتبع للاتجاهات النظرية للعلاقة بين مشاهدة الصورة التي تنطوي على العدوان والسلوك العدواني يجد أنها ثلاثة:

الاتجاه الأول: يرى أن مشاهدة العدوان على شاشة التلفزيون ستفضي إلى تعليم الفرد ا لعدوان، بوصفه أسلوبًا لحل الصراع.

الاتجاه الثاني: يرى أن مشاهدة العدوان على شاشة التلفزيون، ستؤدي إلى التنفيس عن المشاعر المكبوتة لدى الأفراد.

الاتجاه الثالث: يرى أن العلاقة بين مشاهدة العدوان على شاشة التلفزيون والسلوك العدواني الذي يظهره الفرد فيما بعد، هي في الأمر علاقة غير سببية.

سنتناول هذه الاتجاهات الثلاثة بشيء من التفصيل على النحو الآتي:

الاتجاه الأول

يمثل هذا الاتجاه نظرية التعلم بالملاحظة واستنادًا لمنطلقات هذه النظرية، فإن السلوك الاجتماعي يتم اكتسابه من خلال ملاحظة الآخرين وهم يظهرون استجابات مختلفة، والعدوان أحد أشكال السلوك الاجتماعي، حيث يتم اكتسابه من خلال مشاهدة النماذج وما تظهره من عدوان تجاه البيئة المحيطة بها[٣١].

وهذه النظرية لا تعد العدوان غريزة كما ذهبت إلى ذلك نظرية التحليل النفسي، بل إنها تعده استجابة متعلمة[٣٢] يتم اكتسابها من خلال مشاهدة النماذج العدوانية، ففي إحدى التجارب التي أجراها باندورا، توصل بين ما توصل إلى أن الفرد ينمذج العدوان.

فلقد قسم أطفال الروضة إلى خمس مجموعات، إذ يشاهد أطفال المجموعة الأولى؛ شخصًا راشدًا يضرب دمية بلاستيكية، ويشاهد أطفال المجموعة الثانية؛ الحدث نفسه، كما يشاهد أطفال المجموعة الثالثة شخصية كارتونية تتصرف بشكل عدواني والمجموعة الرابعة؛ هي مجموعة ضابطة، بينما تشاهد المجموعة الخامسة؛ نموذجًا إنسانيًّا يتصرف بطريقة غير عدوانية، وبعد ذلك وضع كل طفل في الموقف الذي شاهد فيه النموذج. وتبين أن المجموعات التي شاهدت نموذجًا عدوانيًّا أظهرت استجابات عدوانية أكثر من المجموعة الضابطة. كما أن المجموعة التي شاهدت النموذج غير العدواني أظهرت استجابات عدوانية أقل من المجموعة الضابطة[٣٣]. يتضح مما أوردناه أن العدوان يكتسب بمشاهدة النماذج التي تتصرف بطريقة عدوانية تجاه الآخرين.

وعن الكيفية التي يكتسب بها السلوك العدواني، تشير النظرية إلى ثلاثة مكونات: الاكتساب والأداء والاحتفاظ، فالسلوك الاجتماعي - ومنه

العدوان - يكتسب بفعل التعزيز أو الإثابة[٣٤].

وعلى هذا الأساس فإن الفرد ينمذج سلوك الآخرين عندما تعزز استجاباته؛ مما يساعد على ظهورها في مواقف لاحقة.

أما الأداء فنعني به: أن يكون الفرد قادرًا على التصرف بعدوانية[٣٥] إلى الحد الذي يلحق الأذى أو الضرر بالطرف الآخر.

في الحقيقة إن إظهار السلوك العدواني يعتمد على الظروف التي تحرض عليه وكذلك الإشارات البيئية[٣٦]. فالإحباط، والحرمان، والمضايقة، والأذى، والتمييز في المعاملة الوالدية، وغيرها - هي ظروف محرضة على العدوان، أو هي محرضات على السلوك العدواني، شريطة أن تكون هناك إشارات cues لانطلاقه.

وهذه الإشارات هي بمثابة الإصبع التي تضغط الزناد لإطلاق النار، ففي إحدى الدراسات التي أجريت في المختبر، شاهدت إحدى المجموعات من الأطفال التلفزيون وهو يعرض أحداثًا محايدة لمدة قصيرة، بينما شاهدت المجموعة الثانية أحداثًا رياضية تنطوي على هياج وإثارة ثم بعد ذلك سمح للأطفال الاشتراك في نشاطات مثل: مساعدة طفل، أو إلحاق الأذى بطفل آخر، وأشارت النتائج إلى أن الأطفال الذين شاهدوا الأحداث العدوانية كانوا أكثر رغبة في إلحاق الأذى بالطفل الآخر من الذين شاهدوا أحداثًا محايدة[٣٧].

وهنا نجد أن التعرض للأحداث العدوانية كان بمثابة الإشارة في التحريض على العدوان، بعد أن تهيأت الظروف المحرضة، واستنادًا إلى ذلك فإن العدوان لا يستثار إلا بعد توفر الإشارة التي تلي الظروف المحرضة، وبهذا فإن العدوان يظل كامنًا حتى يظهر العامل المعجل (الإشارة) الذي يساعد على استثارته، ولقد لوحظت مثل هذه الإشارات أثناء الشغب[٣٨]؛ ذلك أن

الجمهور قد تأثر كثيرًا بسلوك النماذج التي أظهرت الهياج ومما يساعد على زيادة سلوك الشغب بين الجمهور هو انضمام المزيد من الأفراد إليهم ومن ثَم انتشاره إلى رقعة جغرافية أكبر.

والاحتفاظ - وهو المكون الثالث - نعني به أن العدوان من الممكن أن يتكرر عند تعزيزه أو إثابته[٣٩]، بينما لا يعاود ظهوره مرة أخرى عند مشاهدة نموذج وهو يعاقب على سلوكه العدواني، وعلى ذلك فإن الفرد الذي يشاهد الكثير من البرامج العدوانية من المحتمل أن يُظهر العدوان في موقف ما إن كان هناك تعزيز لسلوكه العدواني، وعلى خلاف ذلك يكف عن إظهار عدوانه إن كان هناك عقاب. يبدو أن المناخ الأسري المضطرب يساعد الطفل على نمذجة العدوان، فلقد وجد أن اللجوء إلى التهديد والوعيد والعقوبة التي تستعمل في حل الصراعات أو الخلافات بين أفراد الأسرة تساعد الطفل على الاحتفاظ بالعدوان، ومن ثَمَّ اتخاذه أسلوبًا لحل صراعاته[٤٠] أو خلافاته سواء مع إخوانه الصغار أو مع أقرانه، وهذا يشير إلى أن القسر والشدة التي تلاحظ في سلوك الأطفال إنما هي نتاج التعلم في أجواء أسرية مضطربة.

الاتجاه الثاني

يستند هذا الاتجاه إلى فرضية التنفيس Catharsis التي صاغها فرويد أثناء معالجته لاضطراب الهستيريا، وتشير هذه الفرضية إلى أن الشخص المضطرب نفسيًا يشعر بالارتياح عند السماح له بالتعبير عن عدوانيته، وهذا معناه أن مساعدة الفرد على تفريغ انفعالاته الحبيسة عبر منفذ معين[٤١]، سيجعله يشعر بالارتياح، وإن لم يتمكن من تفريغ هذه الانفعالات عبر أحد المسالك أو المنافذ، سيفضي به الحال إلى البحث الدائب والمستمر، عن المنفذ المناسب الذي يتم من خلاله تفريغ طاقته الانفعالية، بهدف التخلص منها، لما لها من أضرار تخل بتوازنه النفسي.

بيد أن سيمور فشباخ - أشهر أنصار هذه الفرضية- وجد في فرضية التنفيس، ما يساعده على تفسير العدوان المعروض على شاشة التلفزيون مبينًا في هذا الصدد، أن ثمة وظيفة نفسية عند مشاهدة العدوان على الشاشة، إذ تتمثل هذه الوظيفة بامتصاص كمية العدوان لدى المشاهد[٤٢]، وعلى ذلك فإن الشخص الذي يشعر بالغضب يكون أقل ميلًا للعدوان في حال إتاحة الفرصة له للتعبير عن عدوانيته[٤٣].

ولاختبار فكرة هذه الفرضية، أجرى فشباخ تجربة على عدد من الأفراد، ولقد اقتضى الأمر تقسيم هؤلاء الأفراد إلى مجموعتين:

فأما المجموعة الأولى: فهي تشاهد فيلمًا عدوانيًّا.

وأما المجموعة الثانية: فهي تشاهد فيلمًا محايدًا يهتم بانتشار الشائعات في المصنع وقبل بدء التجربة عمد الباحث إلى تعريض أفراد التجربة إلى إهانة وجهت إليهم من شخص ما ثم بعد ذلك بدأ في تنفيذ إجراءات التجربة بعد الانتهاء من الإجراءات التجريبية قدم الباحث إلى الأفراد اختبارًا من نوع تداعي الكلمة. ولقد أظهرت النتائج بين ما أظهرت أن الأفراد الذين شاهدوا فيلمًا عدوانيًّا عبروا عن عدوان أقل من الذين شاهدو فيلمًا محايدًا[٤٤]. كما تقدم بدليل ميداني آخر لإسناد فرضية التنفيس، يشتمل هذا الدليل على دراسة ميدانية اشتملت على (٤٠٠) ذكر ينتمون إلى فئة ما قبل المراهقة والمراهقة، هؤلاء الذكور جميعًا يعيشون في دار لإيواء الأيتام، ولقد قسم هؤلاء إلى مجموعتين بصورة عشوائية؛ فأما المجموعة الأولى، فقد اختيرت لمشاهدة برامج عدوانية بدرجة كبيرة، وأما المجموعة الثانية، فقد اختيرت لمشاهدة برامج عدوانية بدرجة منخفضة، وكان برنامج المشاهدة قد تقرر أن يكون لمدة ستة أسابيع، بواقع ست ساعات في الأسبوع، ولقد أسندت مهمة تقدير السلوك العدواني لهؤلاء الذكور إلى المشرفين في الدار، وذلك باستعمال مقياس

لتقدير السلوك العدواني أعد لهذا الغرض وقد توصلت الدراسة إلى أن مستوى العدوان في الدار، قد سجل انخفاضًا ملحوظًا لدى الذكور الذين شاهدوا البرامج الأكثر عدوانية في حين أن مستوى العدوان، قد سجل ارتفاعًا، لدى الذكور الذين شاهدوا البرامج الأقل عدوانية"[٤٥].

ولقد توصل فشباخ من الدراسات التجريبية والميدانية التي أجراها في هذا الصدد إلى استنتاجين اثنين هما:

١- السلوك العدواني لا يزداد بمجرد مشاهدة العدوان على شاشة التلفزيون بل إن المشاهدة التي تشتمل على العدوان تعمد إلى خفضه إلى مستويات متدنية.

٢- إن السلوك العدواني من الممكن أن يخفض مستواه لدى الأطفال العدوانيين، إذا كان هؤلاء الأطفال من ذوي المستوى الاجتماعي -الاقتصادي المتدني"[٤٦].

وتأسيسًا على ما سبق فإن مشاهدة العدوان على شاشة التلفزيون، ستفضي إلى تخفيف التوتر لدى الفرد، ولعل ذلك كفيل بخفض العدوان إلى مستويات متدنية.

ومما له دلالة في هذا الصدد، أن فرضية التنفيس تفتقر إلى الدراسات التي تؤيد منطلقها، سواء كانت تجريبية أو ميدانية، وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على أن هذه الفرضية محدودة ولا يمكن تعميم منطلقها وإنها بحاجة إلى مزيد من الدراسات لإثبات مصداقيتها.

وثمة وظيفة نفسية أخرى يشير إليها فشباخ، عند التعرض للصورة العدوانية، تلك الوظيفة المتمثلة بالتحكم بالعدوان.

يرى فشباخ أن التحكم بعدوان الطفل، يعتمد أساسًا على الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها.

وهنا نصل إلى مسألة لا بد من الإشارة إليها، وهي أن الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الطفل، هي التي تحدد وجهة التحكم في سلوكه، وهذه بدورها - أي وجهة التحكم- هي التي تتحكم بالعدوان، وبذلك فإن التحكم بالعدوان يتحدد بوجهة التحكم، فإن كان الطفل ينتمي إلى الطبقة الدنيا، فإن وجهة التحكم في سلوكه عادة ما تكون خارجية، وهذا يعني أن العامل الخارجي كفيل بتعديل سلوكه في الحالات التي يقتضي فيها التدخل لتعديل سلوكه. وإن كان الطفل ينتمي إلى الطبقة المتوسطة، فإن وجهة التحكم في سلوكه عادة ما تكون داخلية، أي: إن الضمير الذي تَكَوَّن عبر السنوات كفيل بحمل الطفل على الامتثال للقواعد الخلقية العامة.

وهنا يشير فشباخ إلى أن العدوان المتدفق عبر الصورة قد يفضي إلى تصريف الطاقة العدوانية لدى الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا[٤٧]، وهذا يعني صراحة أن أطفال الطبقة الدنيا يتخذون من العدوان المتدفق عبر الصورة منفذًا لتصريف عدوانهم في حين يتمكن أقرانهم من الطبقة المتوسطة من التحكم بدوافعهم العدوانية.

الاتجاه الثالث

تشير الدراسات في هذا الصدد إلى أن العلاقة بين مشاهدة العدوان على شاشة التلفزيون والسلوك العدواني الذي يظهر فيما بعد هي في واقع الأمر، علاقة غير سببية؛ وذلك لأسباب عديدة:

١ - أن الدراسات التي أجريت في المختبر عن المشاهدة التلفزيونية، كانت قد أجريت على أطفال، طلب منهم أن يوجهوا عدوانهم إلى دمية بلاستيكية[٤٨]

والمعروف أن ضرب الدمية يختلف تمامًا عن ضرب الشخص وإلحاق الأذى به، وإزاء ذلك لا يمكننا أن نطمئن إلى العلاقة بين مشاهدة العدوان والسلوك العدواني في مثل هذه الدراسات، بسبب بساطة الإجراءات أولًا، وعدم اللجوء إلى ضبط المتغيرات ثانيًا، وعلى ذلك فإن الدراسات من هذا القبيل، لا يمكن أن تكون قاطعة بشأن العلاقة بين مشاهدة العدوان والسلوك العدواني الذي يستثار فيما بعد.

٢- لقد استعمل في الدراسات التي أجريت على الأطفال أسلوب قبول العدوان من المجرب، إذ وجد أنه بمجرد أن يسمح الباحث للأطفال بضرب الدمية، فإنهم يوجهون إليها المزيد من الضربات ولن يكفوا عن ذلك[٩] حتى يشاهدوا بأم أعينهم أن الدمية أخذت تتهاوى وهذا لا يعنى حقيقة أن الأطفال قد تأثروا بالمشاهدة، فأصبحوا عدوانيين.

٣- أن هذه الدراسات قد كشفت عن وجود آثار آنية للمشاهدة التلفزيونية، بمعنى أنها تخبرنا بما سيؤديه الطفل بعد أن يشاهد البرنامج التلفزيوني[١٠]. ولمدة زمنية قصيرة، إذ ليس بإمكانها أن تخبرنا بما سيظهره من أنماط سلوكية بعد فترة زمنية طويلة، حيث إن الدراسات لم تتوصل بعد إلى حسم هذه المسألة، مما يدعونا إلى توخي الحذر في تعميم هذه النتيجة وإجراء المزيد من الدراسات لمعرفة حقيقة الأمر.

٤- ونشير أيضًا إلى أن هذه الدراسات التي أجريت على الأطفال لا تخبرنا إن كان ضرب الدمية أو ضرب أي شيء آخر مساويًا لإطلاق النار، أو مساويًا للأدوات الجارحة. ومن المؤكد أن إطلاق النار أو استعمال الأدوات الجارحة هي غير ضرب الدمية وعلى ذلك فإن ضرب الدمية ليس له علاقة بالعدوان البشري، ولذا فإن الطفل يتوقع منه في مثل هذه التجارب، أن يستعمل الشدة مع الدمية طالما ليس هناك عقوبات من جانب الوالدين أو من

جانب الكبار تترتب على سلوكه هذا.

٥- أن هذه الدراسات قد تضاربت في تحديد اتجاه العلاقة السببية، فقد وجد من هذه الدراسات أن الأطفال الأكثر عدوانية يفضلون البرامج العنيفة[٥١]، وقد وجد العكس أيضًا، إذ إن مشاهدة العدوان قد جعلت الأطفال أكثر عدوانية، وبذلك فإن التضارب في تحديد السببية في العلاقة الحادثة بين المتغيرين، قد أفضى إلى التشكيك بالمشاهدة التلفزيونية وإمكانيتها في استثارة السلوك العدواني.

٦- تشير بعض الدراسات إلى أن المشاهدة التلفزيونية التي تنطوي على العدوان لا تؤدي إلى السلوك العدواني وذلك في حالات معينة:

أ- توجيه الأطفال والإشراف عليهم عندما يشاهدون التلفزيون، وهذا يقتضي أن يخصص الأبوان وقتًا معينًا لأغراض توجيه أطفالهما عندما يشاهدون البرامج التلفزيونية وذلك عن طريق القراءة وتوفير الكتب لهم[٥٢] لكي يتمكنوا من استيعاب الأحداث التلفزيونية وتفسيرها بشكل سليم.

ب-أن الأطفال الذين لديهم خبرات قليلة مع الآخرين[٥٣] من السهل أن تؤثر المشاهدة التلفزيونية في سلوكهم الاجتماعي أكثر من أولئك الذين لديهم خبرات واسعة، وهذا يعود إلى أن الخبرات الكثيرة ربما تجعل الأطفال يقاومون إغراءات الصورة التي تحرض على العدوان.

نخلص إلى القول: إن هذا الاتجاه لم يجد هناك أدلة كافية للقطع في العلاقة بين مشاهدة العدوان على شاشة التلفزيون والسلوك العدواني، ولكي نتوصل إلى حل مناسب لإشكالية التأثير، نقول: إن الكثير من الدراسات التي أجريت في هذا الميدان أيدت الاتجاه الأول وتوصلت - بين ما توصلت إليه- إلى أن إشكالية التأثير تكمن في نوع المتغيرات التي يجب إدخالها في مثل هذه العلاقة،

وبعد إجراء مسح للأدبيات التي تناولت موضوع المشاهدة تمكنا من حصر المتغيرات على النحو الآتي:

١ - كمية العدوان وعدد ساعات البث

وهذا يعني أن زيادة كمية العدوان على الشاشة مصحوبة بزيادة عدد ساعات البث، سيفضي إلى مزيد من العدوان.

٢ - جنس الطفل

لقد وجد أن الذكر أكثر عدوانًا من الأنثى، بحكم ظروف التنشئة الاجتماعية، وعليه فهو أكثر تأثرًا بما يشاهده من برامج عدوانية على الشاشة.

٣- المناخ الاجتماعي

لقد وجد أن الطفل الذي يعاني من الحرمان، بسبب كونه يعيش في أسرة بائسة، قد يجد في برامج التلفزيون التي تعج بمظاهر الأبهة والقتل والسرقة، تحريضًا على العدوان.

٤ - العمر

لقد تبين أن ثمة إجماعًا حول معدل المشاهدة تبعًا للمراحل العمرية فالمرحلة العمرية الواقعة بين (٣-٥) سنوات تصل معدلات المشاهدة بالنسبة لها إلى ساعتين ونصف الساعة، وفي الفئة العمرية الواقعة بين (٦- ١٤) سنة تصل إلى أكثر من ثلاث ساعات[٥٤].

بيد أن معدلات المشاهدة تعد محرضة على السلوك العدواني عندما تصل إلى أكثر من هذه الساعات.

٥- المستوى الاجتماعي- الاقتصادي للطفل

تشير الدراسات إلى أن معدلات المشاهدة تزداد لدى أفراد المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتدني.

٦- التحصيل الدراسي للطفل

وجد أن الأطفال الذين يكثرون من المشاهدة، يتمتعون بتحصيل دراسي متدنٍّ.

٧- خصائص شخصية الطفل

ونعني بذلك أن ثمة خصائص شخصية تميز الطفل الذي يكثر من المشاهدة التلفزيونية عن غيره، منها على سبيل المثال: أن الطفل الذي يكثر من المشاهدة يتسم بالعدوان وسوء التوافق والشعور بالنبذ الاجتماعي وعدم الأمان.

٨- ذكاء الطفل

لقد وجد أن الأطفال الأذكياء أقل اهتمامًا بالتلفزيون وقد وجد أنهم يسجلون معدلات مشاهدة أدنى بكثير من أقرانهم الأقل ذكاءً.

وهنا نثير التساؤل الآتي: أي من المتغيرات يعد محرضًا للسلوك العدواني؟

في الحقيقة لم يكن ثمة متغير واحد بعينه يُعد محرضًا على العدوان؛ ذلك أن الظاهرة في العلوم الإنسانية هي ظاهرة معقدة وليس من السهل تفسيرها بعامل سببي واحد بل هي تفسر بمجموعة عوامل سببية، ويسمى هذا الاتجاه بالاتجاه التفاعلي interactionism أو التفاعلية، وطبقًا للاتجاه التفاعلي، فإن المشاهدة التلفزيونية تتأثر بعديد من المتغيرات، وعند تفاعلها مع بعضها، فمن الممكن أن تحدث الأثر المطلوب، ولكن كيف يحدث هذا الأثر؟

معروف أن وسائل الاتصال الجمعية ومنها المرئية لا تُحدث تغييرًا في سلوك الأفراد بشكل مباشر، بل إن هذا التغيير يحدث بشكل غير مباشر، بمعنى أن عرض الرسالة الإقناعية على الجمهور المتلقي لها، لن تؤثر فيهم بصورة مباشرة، بل إن هذه الرسالة سوف تعمد إلى تهيئة الجمهور من الناحية

النفسية؛ بهدف استقبالها فقط، ولكي نطمئن من استلام الجمهور للرسالة يجب أن تكون جاذبة للانتباه، ولكي تكون كذلك يجب أن تتمتع ببعض الخصائص منها: أن تكون هذه الرسالة على قدر من الجاذبية، وأن تحتوي على معلومات دقيقة كذلك يجب أن تبتعد عن التناقض في عرض الأفكار التي ترد فيها وسواها من الخصائص وعندما تكون الرسالة بهذه المواصفات، عند ذاك من الممكن أن تهيئ الجمهور إلى استلامها.

وإذن فإن الجمهور المتلقي للرسالة لا يغير من سلوكه بمجرد التعرض لها، بل إنه يتهيأ لتقبلها، وذلك من خلال زيادة المشاهدة التي تنطوي على عدوان ولفترات طويلة مما يؤدي إلى تقليل حساسيته للقسوة والضرب، وبمرور الوقت سيجد هؤلاء أنفسهم غير مبالين لمشاهد القتل وصوره، وذلك يعود إلى أنهم ألفوا عالم التلفزيون الذي يعج بهذه الأحداث المنفرة، شريطة أن تسبق مشاهدة العدوان على الشاشة متغيرات المشاهدة التلفزيونية التي تحرض بدورها على العدوان.

لا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن التعرض للصورة التي تنطوي على عدوان، سينجم عنه آثار نفسية، ولعل من أهمها:

١ - أن مشاهدة الطفل الصورة التي تشتمل على عدوان ستجعله يكتسب أنماطًا مختلفة من السلوك العدواني، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: تعلم السرقة والغش والتحايل على الآخرين والضرب الموجع.

٢- كما أن التعرض المستمر للصورة العدوانية سيفضي بطبيعة الحال، إلى تقليل حساسيته للقسوة ومن ثَم عدم الاكتراث بآلام الآخرين، ولا سيما أولئك الذين يتعرضون إلى الضرب الموجع.

٣- وقد يترتب على التعرض المستمر للصورة العدوانية، صعوبة التحكم

بالعدوان الصادر عن الطفل، بالرغم من المحاولات التي تبذل في مجال الإرشاد الأسري والمدرسي لتقليل عدوانيته، بيد أن هذه المحاولات الإرشادية ستغدو تنبيهات ضعيفة مقابل التنبيهات القوية التي يستلمها من الصورة، وعلى ذلك فإن التنبيهات القوية المستلمة من الصورة، ستفضي به إلى استثارة المزيد من الاستجابات العدوانية.

٤- ومن الآثار النفسية المترتبة على التعرض المستمر للصورة العدوانية خفض قدرة الطفل على ضبط النفس"؛ وذلك يرجع أساسًا إلى أن التعرض المستمر للصورة العدوانية ستكسب الطفل أسلوبًا يستند إلى الخشونة والفظاظة في حل صراعاته أو خلافاته مع الآخرين، وبمرور الوقت سيتحول هذا الأسلوب إلى عادة سلوكية، تغدو جزءًا من تركيبته النفسية.

٥- ومما يترتب على التعرض المستمر للصورة العدوانية، خفض قدرة الطفل على تحمل الإحباط، ولعل ذلك يعود إلى محاكاته للشخصيات التي تظهر في الصورة، وهي تتبرم من الاستجابات الصادرة عن الآخر، وعلى ذلك فإن استمرار تدفق الصورة التي تنطوي على العدوان سيفضي بطبيعة الحال إلى خفض قدرة الطفل على التحمل في المواقف التي يحبط فيها.

٦- كذلك يفضي التعرض المستمر للصورة العدوانية، إلى تبلد مشاعر الود والتعاطف للطفل، مما يترتب على ذلك خفض سلوك المساعدة وهذا يؤدي بدوره إلى عدم الاكتراث بالآخرين الذين يتعرضون إلى طارئ أو تلم بهم ضائقة.

المتغيرات الوسطية التي تتخلل العلاقة بين مشاهدة الصورة ونوعية الأنماط السلوكية

قبل الحديث عن المتغيرات الوسطية التي تتخلل العلاقة التي نحن بصددها، نثير هنا بضعة تساؤلات، مفادها هل يؤثر خطاب الصورة في سلوك جميع الأطفال؟ أم إن الأمر يقتصر على بعضهم وليس كلهم؟ إذا كان الأمر يقتصر على بعضهم وليس كلهم، فمن هؤلاء الأطفال؟ وما خصائصهم النفسية والاجتماعية؟

بادئ ذي بدء، نقول: إن خطاب الصورة لن يؤثر في سلوك جميع الأطفال، بل إن التأثير سينحصر في سلوك بعضهم، وذلك يرجع أساسًا إلى متغيرات عديدة، تلك المتغيرات هي التي تتخلل العلاقة الناشئة بين متغيري مشاهدة الصورة ونوعية الأنماط السلوكية، وفي هذا الصدد نذكر أهم تلك المتغيرات:

١ - العمر

لقد وجد أن الأفراد الذين هم بأعمار صغيرة أكثر تأثرًا بخطاب الصورة، من أولئك الذين هم بأعمار كبيرة[٥٦]. وهذا يعود حقيقة إلى قلة خبراتهم الحياتية، وهو الأمر الذي يجعلهم أكثر تأثرًا بالصورة إلى جانب محدودية محصولهم المعرفي الذي يجعلهم هو الآخر غير قادرين على التمييز بين الأشياء.

٢ - الجنس

لقد وجد أن الذكور أكثر تأثرًا بالصورة التلفزيونية[٥٧]، ولعل ذلك يعود إلى الانطباعات التي يكونها كلا الجنسين عن الأحداث والأشياء، تلك الانطباعات التي تكون متطابقة مع الأدوار المتوقعة لكل منهما في المجتمع، وهو يعني أن كلًا منهما يدرك الأحداث والأشياء بطريقة تنسجم مع دوره

الجنسي، كما تنسجم مع الصور النمطية السائدة عن الجنس في الثقافة السائدة، ولذا يتشكل سلوك الذكور، استنادًا إلى نوعية الصور المتدفقة.

٣- المستوى الاجتماعي - الاقتصادي

تشير الدراسات إلى أن المستوى الاجتماعي - الاقتصادي من المتغيرات المهمة التي تسهم في عملية التأثر بخطاب الصورة؛ إذ ليس كل الأفراد في المستويات الاجتماعية - الاقتصادية الثلاثة يتأثرون بالخطاب الوارد في الصورة، بل إن هناك مستوى معينًا أميل إلى التأثر بالصورة من المستويات الأخرى، على أن الدراسات تشير إلى أن أفراد المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتدني هم أكثر تأثرًا بما يشاهدونه على شاشة التلفزيون(**).

وربما يعود ذلك إلى أن هؤلاء أكثر حرمانًا من الناحية الاقتصادية، فضلًا عن قلة الأماكن الترفيهية المتوفرة في بيئتهم الاجتماعية، مما يجعل التلفزيون أداة ترفيهية أكثر من غيرها، كما أن هذه الأداة (التلفزيون) أصبحت غير مكلفة؛ بسبب امتلاك كل أسرة لجهاز منه، وبإمكان أفراد الأسرة المشاهدة ساعة يشاءون، ولأن أفراد المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتدني يعانون ضنك الحياة وصعوباتها؛ فقد انشغل الأبوان بهموم المعيشة، وصار همهما الكد؛ لأجل البقاء، مما ترتب على ذلك ضعف الاهتمام بالأطفال وعدم متابعة شئونهم الحياتية، لعل عدم متابعة نوعية البرامج التي يتعرضون لها قد أفضى إلى تشكيل سلوكهم بطريقة تتناسب مع نوعية تلك البرامج التي يشاهدونها.

٤- معدلات المشاهدة التلفزيونية للأبوين

تشير الشواهد اليومية إلى أن الطفل يكثر من المشاهدة في حال إكثار أحد الأبوين أو كليهما من مشاهدة التلفزيون، ولعل ذلك يرجع إلى أن المشاهدة مع الأبوين توفر للطفل فرصة السؤال عن هذه اللقطة أو تلك أو هذا الحدث أو ذاك، في محاولة منه لإشباع حاجته من الاستطلاع والاستكشاف، وهذا يبعث

فيه شعورًا بالسرور والارتياح وهو يشارك أبويه في مشاهدة التلفزيون، وربما يعود سبب تصاعد معدلات المشاهدة لكلٍّ من الأبوين والطفل، إلى أساليب الترغيب التي يستعملها أحدهما أو الاثنان معًا، من أجل مشاهدة برامج التلفزيون. ولعل أساليب الترغيب، إلى جانب الشعور بمتعة المشاهدة مع الأبوين قد يهيئ ذلك للطفل مناخًا مناسبًا للتأثر بالرسائل الواردة عبر الصورة.

٥- حجم الأسرة

تشير بعض الدراسات إلى أن الأسرة التي يكون حجمها صغيرًا يكثر أفرادها من مشاهدة التلفزيون[٥٩]، ولاسيما الأطفال منهم على وجه التحديد، إذ إنهم يفتقرون داخل المنزل إلى أطفال في أعمارهم يشاركونهم ألعابهم، وهذا سيفضي بطبيعة الحال إلى شعورهم بالفراغ. مما يضطرهم إلى البحث عن أقران لهم خارج المنزل أو قضاء ساعات معينة بصحبة الأبوين وللتخلص من ضغط طلباتهم، قد يعمد الأبوان إلى حث أطفالهما على مشاهدة التلفزيون أو يوفران لهما بعض البرامج، بهدف مشاهدتها، وهو الأمر الذي يفضي بالأطفال، بمرور الوقت إلى تكوين عادات سلوكية تنطوي على متابعة برامج التلفزيون، وبالنتيجة النهائية؛ سيكون هؤلاء أميل إلى التأثر بالصورة التلفزيونية، ومن ثَم سيتشكل سلوكهم طبقًا لنوعية الصورة.

٦- أساليب التنشئة الوالدية

تشير الملاحظات الميدانية إلى أن نوعية الأسلوب الذي يتعبه الأبوان في تنشئة الطفل يقرر إلى حد ما نوعية المشاهدة التلفزيونية، بمعنى أن أساليب التنشئة التي تتسم بالتسلط والعقاب، تفضي بالطفل إلى مشاهدة الجريمة وتلك التي تتسم بالإثارة، في حين أن أساليب التنشئة التي تتسم بالدفء والتقبل، تفضي بالطفل إلى مشاهدة البرامج الاجتماعية وتلك التي تخلو من العدوان والجريمة، وبذلك تكون أساليب التنشئة المتغير الوسيط الذي يعمد إلى تهيئة الأطفال لتقبل الرسائل الاتصالية من نوعية معينة.

٧- الذكاء

تشير الدراسات إلى أن الأذكياء أقل تأثرًا بالمشاهدة التلفزيونية من غيرهم الأقل ذكاءً[٦٠]، وذلك بسبب أن الزيادة الحاصلة في الذكاء، ستجعل الأفراد أكثر تمييزًا للتنبيهات التي يتعرضون لها، وهو الأمر الذي يجعلهم لا يسلمون بسهولة ويسر للقضايا والأحداث التي تعرض عليهم وإنما يناقشونها، ويقدمون بعض المسوغات التي يجدون فيها ما يناقض آراءهم ومعتقداتهم.

وتأسيسًا على ما سبق يعد الذكاء المتوسط أو دون المتوسط ، متغيرًا وسيطًا يهيئ الأطفال للتأثر بالرسائل الاتصالية، بغض النظر عن نوعيتها.

٨- خصائص الشخصية

لوحظ أن الأفراد الذين يعانون اضطرابات نفسية، أدعى إلى التأثر بالمشاهدة التلفزيونية، من أولئك الذين لديهم اضطرابات أقل أو أن تاريخهم الشخصي يكاد يخلو من هذه الاضطرابات، والسبب يعود إلى أن الاضطرابات النفسية تهيئ الفرد لتقبل بعض الإيحاءات مما يجعل عملية الإقناع غير صعبة بالمرة. إذ إن كل ما يعرض على الشاشة التلفزيونية هو من وجهة نظر هؤلاء سليم، وينبغي أن لا يناقش، وما يهمنا هنا أن الأطفال الذين يتعرضون إلى الاضطرابات النفسية، يكون تقبلهم للإيحاءات المعروضة على الشاشة التلفزيونية، أسرع من أقرانهم الذين لا يعانون من أي اضطراب.

ولعل من خصائص الشخصية التي تميل بالأطفال إلى التأثر بالمشاهدة التلفزيونية، سمة التسلطية، فلقد أثبتت الوقائع الميدانية أن الأفراد الذين يتمتعون بدرجات عالية من التسلط، هم أميل إلى التأثر بالمشاهدة.

واضح أن خصائص الشخصية من قبيل: الاضطرابات النفسية وسمة التسلطية، قد تهيئ الأطفال إلى تقبل الإيحاءات المعروضة على شاشة التلفزيون.

obeikandl.com

الهوامش

١- جيمس هالوران، بحث في موضوع الاتصال بالجماهير: التوجهات والمسئوليات، البحوث، العدد ١٠ (كانون الأول، ١٩٨٣) ص ١٦٧.

٢- بلال عرابي، قضايا في إعلام الطفولة، مجلة الطفولة والتنمية، المجلد٢، العدد٦، (صيف، ٢٠٠٢) ص ١٣٢.

٣- سونيا هانت وجنيفز هيلتين، نمو شخصية الفرد والخبرة الاجتماعية، ترجمة قيس النوري، ط١ (بغداد: دار الشئون الثقافية العامة، ١٩٨٨) ص ٢٥٨.

4- E.M. Hetheringion and R.D.Parke. child psychology: A contemporary view point. (New York: McGraw-Hill book company, 1986),p. 690.

5- J.p. Rushton. Socialization and the altruistic behavior of children. Psychological Bulletin, vol. 83. No. 5. 1976.p. 905.

٦- بول موسن وآخرون، أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة، ط١ (الكويت: مكتبة الفلاح، ١٩٨٦) ص ٤٣٤.

7- Hetherington and Parke, child psychology: A contemporary view point, p. 690.

٨- مصباح الخير وهاشم السامرائي: أثر برنامج افتح يا سمسم على أطفال بغداد، البحوث العدد ٢١ (كانون الأول، ديسمبر، ١٩٨٧) ص ٥٣.

٩- انظر تقديم صفية عرفات لدراسة الرسوم المتحركة في التلفزيون وعلاقتها بالجوانب المعرفية للطفل مجلة الطفولة والتنمية، المجلد ١، العدد ٣(خريف، ٢٠٠١) ص ٢١٧.

١٠-الخيرو والسامرائي، أثر برنامج افتح يا سمسم على أطفال بغداد، ص٥٠.

١١-نجم الدين على مردان، دور أجهزة الإعلام في تعزيز النمو اللغوي عند الأطفال، البحوث، العدد ٢٧(أيلول- سبتمبر، ١٩٨٩) ص ٧٧.

١٢-محمد خليل الرفاعي، التلفزيون والأطفال، المستقبل العربي، السنة ١٦، العدد ١٧٧(تشرين الثاني- نوفمبر، ١٩٩٣) ص ١٢٠.

١٣- الخيرو والسامرائي، أثر برنامج افتح يا سمسم على أطفال بغداد، ص ٥٠.

١٤- مردان، دور أجهزة الإعلام في تعزيز النمو اللغوي عند الأطفال، ص ٧٧.

15- A.M. Orum. Introduction to political sociology, (New Jersey: Englewood Cliffs. 1978), p. 209.

١٦- المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
١٧- المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
١٨- المصدر نفسه، ص ٢٠٩.
١٩-المصدر نفسه، ص ٢١٠.
20- C.V. Feilitzen. Findings of Scandinavian research on child and television in the process of socialization, in Television and socialization processes in family. (Munchen: verlag Dokumentation, publishers, 1976). P. 66.
٢١- المصدر نفسه، ص ٦٦.
٢٢- حمدي حسن محمود، التلفزيون والتعلم، دراسة في الأبعاد المعرفية لمحتوى البرامج التلفزيونية، البحوث، العدد ٢٦(نيسان- إبريل، ١٩٨٩) ص ٩.
23- A.d Leifer. Research on the socialization influence of television in the united states. In: Television and socialization processes in family. (Munchen: Verlag Dokumentatoin, publishers, 1976), p.40
٢٤- الخيرو والسامرائي، أثر برنامج افتح يا سمسم على أطفال بغداد، ص ٥١، ٥٢.
٢٥- هادي نعمان الهيتي، علاقة التلفزيون بإثارة إجراءات التجنب والخديعة عند ارتكاب الأحداث والأفعال الجانحة، الطفولة (بغداد) العدد ٢(١٩٩٥) ص ٢٤.
26- A.Baum and et. al. social psychology. (New York: Random House, 1985).p. 278.
27- L.S. Wrightsman, social psychology in the seventies (California: Books/ Cole publishing Monterey, 1972), p. 271.
28- H.J.Ehrlik. the social psychology of prejudice a systematic theoretical review and prepositional inventory of the American social psychology study of prejudice. (New York: John Wiley and sons, 1973),p. 124.
29- Wrighsman, social psychology in the seventies. P. 271. Leifer, Research on the socialization influence of television in the united states,p. 40.
30- Leifer, Research on the socialization influence of television in the united states, p. 40.
31- R.l. Atkinson. And et al. Introduction to psychology. (Sandie-go: Harcout Bracehobaneich publishers, 1990), p. 425.
32- A.Bandura, the role of modeling processes in personality development: in:

A.M. snadowsky. Child and adolescent development: Laboraotry -Fild relationships. (New York: the free press. 1973), p. 161- 164.

٣٣- المصدر نفسه، ص ١٦١- ١٦٢.

34- L.A. pervin. Current controversies and issues in personality. (New York: John wiley and sons, 1978).p. 76.

٣٥- المصدر نفسه، ص ٧٦.

٣٦-المصدر نفسه، ص ٧٧.

٣٧-المصدر نفسه، ص ٨٢، ٨٣.

38- Baum and et. al. social psychology. P. 245.

39- pervin, current controversies and issues in personality ,p. 82- 83.

40- J.T. Tedeschi and et. al Aggression and use of coercive power. Journal of social issues. Vol. 33. No. 1, 1977,p. 115.

E.Donnerstein and G.Barrett. Effect of erotic stimuli on social psychology. Vol. 36. no. 2,1978.p. 185.

41- Pervin. Current controversies and issues n personality .p. 69.

42- S. Feshbach, Aggression, in: P.H. Mussen (Ed). Carmichael's manual of child psychology,3rd ed, vol. 2.(New York: John Wiley and sons. Inc. 1970),p. 234.

43- Pervin, current controversies and issues in personality, p.69.

٤٤- المصدر نفسه، ص ٦٩، ٧٠.

45- K.G. Shaver. Principles of social psychology, (Cambridge: Winthrop publishers. Inc. 1977). P. 456.

46- S. Feshbach and R.D. singer. Television and aggression: An experimental field study. In:L.S. Wrightsman and J.C.Brigham. psychology, (California: Brooks/ Cole publishing company Monterey. 1973),p.211.

٤٧- م. دي - فلوروس، بال - روكاخ، نظريات الإعلام، ترجمة محمد ناجي الجوهر، ط١ (أربد: دار الأمل للنشر والتوزيع، ١٩٩٤) ص ٢٩٠.

48- L.Hoffman and et al, Developmental psychology today, 5th ed. (New York: Random House. 1988).p. 264.

٤٩- المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

٥٠- المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

51- Atkinsonand et. al. introduction to psychology, p. 431.

52- E.B. Hurlock, Child development, 6th ed.(Auckland: Mc Graw- Hill book company, 1978), p. 331.

٥٣- المصدر نفسه، ص ٣١١.

٥٤- الرفاعي، التلفزيون والأطفال، ص ١٠٩، ١١٠.

٥٥- موسن وآخرون، أسس سيكولوجية الطفولة والمراهقة، ص ٤٣١.

٥٦--محمود شمال حسن، نحن والبث الفضائي دراسة الآثار النفسية والاجتماعية المحتملة للبث الوافد من الفضاء في المجتمع العربي، دراسات اجتماعية، السنة ١العدد ٢(حزيران- يونيو، ١٩٩٩) ص ٩٣.

٥٧- محمود شمال حسن، سيكولوجية الفرد في المجتمع: مدخل (القاهرة، دار الآفاق العربية، ٢٠٠١) ص ١٦٤.

58- Hurlock. Child development, p. 309.

٥٩- عبد الله بوجلال، الشباب الجزائري وبرامج التلفزيون الأجنبي، دراسة ميدانية، بحوث (جامعة الجزائر) العدد ٣(١٩٩٥) ص ٣٥.

محمود شمال حسن، المشاهدة التلفزيونية وإشكالية استثارة السلوك العدواني، الإذاعات العربية، العدد ٢(٢٠٠٢) ص ١٠٤.

60- Hurlock, child development, p.309.

obeikandl.com